The Islamic Universityof Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Ossoule Ed-deen
Master Interpretation and Sciences of Qura



الجامعـــــــة الإســـــلامية بغـزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــة أصـــــــول الديـــــــن
ماجستير التفسير وعلـــــوم القـرآن

التوجيهاتُ التَّربويَّةُ وأساليبُها المستنبَطَةُ من سورةِ المُمتَحَنةِ

(دراسةٌ موضوعيةٌ تطبيقيّةٌ)

Educational guidance and methods derived from Surat Al-Mumtahna - (An Applied objective study)

إِعدَادُ البَاحِثِ

محمد ناصر عبدالقادر مصطفى

إِشرَافُ

الأستاذ الدكتور/

عبدالسلام حمدان عودة اللوح

قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التفسير وعلوم القرآن بِكُليةِ أصول الدين فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة

شعبان/ ١٤٤٠ هـ – أبريل/٢٠١٩ م

إقـرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التوجيهاتُ التَّربويَّةُ وأساليبُها المستنبَطَةُ من سورةِ المُمتَحَنةِ

(دراسةٌ موضوعيةٌ تطبيقيّةٌ)

Educational guidance and methods derived from Surat Al-Mumtahna -
(An Applied objective study)

أُقِرُّ بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص؛ باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كلها أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة، أو لقب علمي، أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد ناصر مصطفى	اسم الطالب:
Signature:	[signature]	التوقيع:
Date:	بعد المناقشة	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref
التاريخ 2019/03/25م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد إبراهيم أحمد العروقي** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

قصص الأنبياء: (نوح ويونس عليهم السلام) دراسة موضوعية مقارنة

Stories of the Prophets: Noah, Yunus (Peace be upon them) Comparative Objective Study

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاثنين 18 رجب 1440**هـ الموافق **2019/03/25**م، الساعة **الثامنة والنصف صباحا**، في **قاعة مؤتمرات مبنى القدس**، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. عبدالكريم حمدى الدهشان	**مشرفا ورئيسا**	....
أ. د. جمال محمود الهوبي	**مناقشا داخليا**	....
د. ماجد رجب سكر	**مناقشا خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/ برنامج التفسير وعلوم القرآن.**

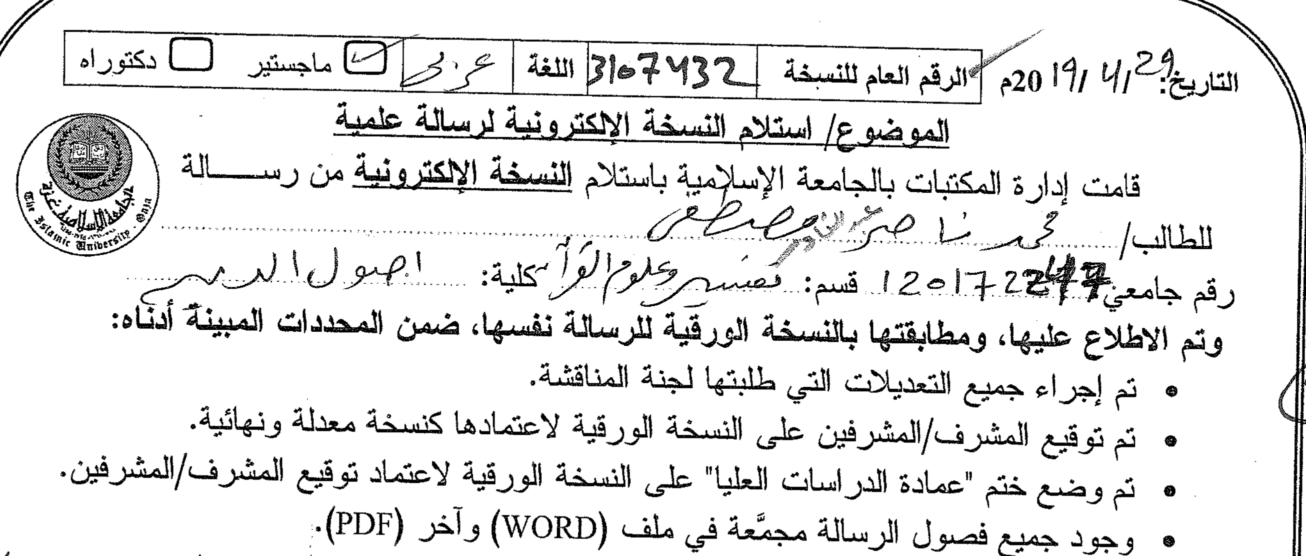
واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: +970 (8) 264 4400 هاتف: Fax: +970 (8) 264 4800 فاكس: ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps



دكتوراه ☐	ماجستير ☑	عربي	اللغة	3107432	الرقم العام للنسخة

التاريخ: 29/4/2019م

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

للطالب/ محمد ناصر مصطفى

رقم جامعي: 120172247 قسم: تفسير وعلوم القرآن كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب ....

إدارة المكتبة المركزية ....

ملخص الرسالة باللغة العربية

هدف الدراسة: هدفت الدراسة إلى معرفةِ التوجيهاتِ القرآنية التربوية، وأساليبها المستنبطة من سورة الممتحنة، وتوظيفِها لعلاج مشكلات الواقع المعاصِر.

منهج الدراسة: الطريقة الاستنباطية حسب منهجية التفسير الموضوعي.

وقد اشتملت هذه الدراسة على تمهيدٍ، وثلاثة فصولٍ، وخاتمة؛ الفصل الأول بعنوان: توجيهات تربوية عقدية، والفصل الثاني بعنوان: توجيهات تربوية تعبدية وأخلاقية، والفصل الثالث بعنوان: توجيهات تربوية سلوكية واجتماعية وفكرية، وجاءت الأساليب نهاية كل فصلٍ في مبحث مستقل.

أهم نتائج الدراسة:

١. سورة الممتحنة سورة مدنية بالإجماع، مُحكمة لا ناسخ فيها ولا منسوخ، ولها أسباب نزول متعددة مرتبطة بآياتها، ولها أسماء عدة، ومناسبات متنوعة، وبيان توجيهاتها القرآنية التربوية، وأساليبها، ومحورها العام الذي جاءت لترسيخه: (قيمة العقيدة في المجتمع المسلم).

٢. حرمة موالاة اليهود كافةً، والمحتلين منهم لفلسطين على وجه الخصوص، وحرمة جميع أنواع التعاون مع الصهاينة، ونبذ التطبيع معهم.

٣. أهمية اتباع الأساليب الحكيمة في الدعوة إلى الله؛ كالترغيب والترهيب، والإقناع، والبشارة بالخير، والنصح والإرشاد في الأمر والنهي، وغيرِها من الأساليب.

أهم التوصيات:

١. يوصي الباحث طلبة العلم والباحثين بالتنقيب والبحث في التوجيهات القرآنية لسور القرآن الكريم، مع تطبيق نظرية التفسير الموضوعي.

٢. يوصي الباحث المربين والدعاة والمصلحين بغرس العقيدة الصحيحة في نفوس النشء، وتربيتهم عليها، والاستفادة من الأساليب الواردة في سورة الممتحنة، وفي سائر سور القرآن.

Abstract

This study aims to identify the Quranic educational directives, and the methods derived from Surah Al-Mumtahina and their employment in addressing the problems of contemporary reality.

The study draws on the deductive approach using objective interpretation methodology. The study includes a preface and three chapters. The first chapter is entitled ' doctrinal educational directives'. The second chapter is entitled 'educational, devotional and moral directives', while the third chapter is entitled 'educational, behavioral, social and intellectual directives'. The methods came at the end of each chapter in a separate section.

The study reached the following important results:

1. Surah Al-Mumtahina is a Madani Surah by consensus, and does not have abrogating or abrogated verses. It has multiple reasons for revelation related to its verses, and has several names, various events, statement of its educational and Quranic directives, methods, and its general theme that it came to consolidate, which is the value of faith in the Muslim community.

2. The inviolability of supporting all Jews, especially the occupiers of Palestine, and the inviolability of all kinds of cooperation with the Zionists, and renouncing normalization with them.

3. The importance of following wise methods in the call to Allah, such as giving incentives and intimidation, persuasion, offering good news, advice and guidance in the command and prohibition, and other methods.

The researcher recommends the following:

1. Students and researchers are advised to explore and research in the Quranic directives of the Surahs of the Holy Quran, with the application of the theory of objective interpretation.

2. Educators, preachers and reformers should instill the correct doctrine in the minds of young people, and to raise them up accordingly, and to benefit from the methods mentioned in Surat Al-Mumtahina and in the rest of the Surahs of the Qur'an.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ * لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾

[فصلت: ٤١، ٤٢]

الإهداء

إلى اللَّذيْن لولاهُما ما رُحتُ ولا جِئتُ

..:: إلى والديَّ الكريمين ::..

لأن الولدَ من كسب أبيه، والأمَّ أحقُّ بحسن الصحبة

وقدِّم الأخص في اتصالِ *** وصِل ذوي الأرحام غيرَ آلِ

إلى جَدِّي المرحوم بإذن الله: أبو رياض

الذي كان يدعو لي بالخيرِ دائمًا

إلى جدتي المرحومة بإذن الله: أم رياض

إلى جدتي المرحومة بإذن الله: غالية سلمان "أم سلمان"

أهدي هذا الجُهدَ المتواضع

شكرٌ وتقديرٌ

أحمد الله ﷻ أن أتمَّ عليَّ نعمته، وأسبغ عليَّ من واسع فضله، فهو الذي هداني لهذا، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني،

ولو أن لي في كل منبتِ شعرةٍ * لسانًا يبُثُّ الشكرَ كنتُ مقصِّرًا**

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الكريم، ومشرفي القدير: **فضيلة الأستاذ الدكتور: عبدالسلام حمدان اللوح**، الذي جادَ عليَّ بتوجيهاته، وأحسن إليَّ بصبره وسَعَة صدره، وبذلَ جهدًا جهيدًا في تعقُّب هذه الدراسةَ كلمةً كلمةً حتى خرجت في حُلةٍ بهيَّةٍ، ومنظرٍ بهيج.

وأتقدَّم بالشكر كذلك من عضوي لجنة المناقشة الكريمين، **فضيلة الأستاذ الدكتور: جمال محمود الهوبي، وفضيلة الدكتور: عبدالله الملاحي**، لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بملاحظاتهما القيِّمة.

والشكرُ موصولٌ لمشايخي وأساتذتي الفضلاء، **شيخي الفاضل الدكتور: وجدي أبو سلامة**؛ الذي أنزلني منزلة ولده، وغَذَّاني من علمه، وكذلك **شيخي الفاضل الدكتور: يونس الأسطل**؛ الذي سحرني بأسلوبه في التفسير، فكان سببًا رئيسًا في شغفي بالقرآن، والتحاقي بقسم التفسير وعلوم القرآن، وأفادني ونصحَ لي، في هذه الرسالة وفي غيرها، و**شيخي فضيلة الأستاذ الدكتور: سلمان الداية**، الذي أكرمني وقرَّبني ونصحَ لي.

وأتوجه بالشكر لجامعتي الإسلامية الشمَّاء، روضة العلماء، وحاضنة القادة النجباء، وأشكر كذلك كليتي الغراء؛ كلية أصول الدين، وأساتذتها النجباء، فلهم كل الحب والوفاء.

وأشكر شكرًا مزيدًا وافيًا كلَّ من كان له عليَّ يدٌ ونعمةٌ وفضلٌ، وأخص بالذكر من تفضلوا عليَّ بنفقة الدراسة، وأسأل الله أن يتقبل مني ومنهم، وأن يغدق عليهم من واسع فضله، ولهم أقول:

سأشْكرُ عمرًا ما تراختْ منِيَّتي *** أيادِيَ لم تمنُنْ؛ وإن هي جلَّتِ

كما أتوجه بالشكر لعائلتي الكريمة، أبي وأمي، وإخوتي وأخواتي، وأصهاري، وأعمامي وعمّاتي، وأخوالي وخالاتي، وكلَّ من له حقٌّ علي.

ولا أنسى أن أقدِّمَ الشكرَ لكلِّ من علمني حرفًا، أو أزجى إليَّ فائدةً، أو دعا لي بخيرٍ، أو رجا لي خيرًا، أو أهدى إليَّ نصيحةً، أو تصدَّق عليَّ بكلمةً طيبة، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم.

الباحث/ محمد بن ناصر مصطفى

فهرس المحتويات

المقدمة

أحمدُ اللهَ ﷻ حمدًا يليقُ بقدرِهِ، وأشكره شكرًا امتثالًا لأمره، وأُقِرُّ أن الخلقَ عاجزون عن تعظيمه حقَّ عظَمَتِهِ، لعدم إحاطتهم به علمًا.

نِعمُه ﷻ لا تحُصَى، وشكره لا يُوَفَّى، له الآخرةُ والأولى، وإليه الرجعى؛ لا إله إلا هو، وحده لا شريك له، ولا معبودَ بحقٍّ سواه.

وأُصَلِّي وأُسلِّم على النبيِّ الأُمِّيِّ محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فإن كتابَ الله ﷻ هو الكتاب المُبِين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو حبل الله المَتِين، والصراط المستقيم، فيه نبأ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو المصدر الأول الذي بتوجيهاته وهداياته ينضبط مسار الحياة، فقد نزله الله ﷻ تبيانًا لكلِّ شيءٍ، وهدىً، ورحمةً، وبُشرى للمسلمين، وما فرَّط فيه من شيء، وجَعَلَنا به على شريعةٍ من الأمر؛ حتى نتبعها، ولا نتبعَ أهواء الذين لا يعلمون، فقد أحيانَا به، وجعله نورًا لنا نمشي به في الناس، بل وآتانا به كِفْلَيْنِ من رحمته، وكنَّا به خيرَ أمة أُخرجتْ للناس؛ لنكون به شهداء على الناس، ويكون الرسول علينا شهيدًا ..

ولما كانت كل سورة من سور القرآن تحتوي على كثير من التوجيهات التربوية بأساليبَ متعددةٍ، كان موضوع دراستي في إحدى سور القرآن، وهي سورة الممتحنة؛ لأسبِرَ غورها، وأستقي من عذب فوائدها وهداياتها.

وفي ضوء ما عرضته السورة من قضايا تربويةٍ عديدةٍ ومتنوعة، في جوانب الحياة كافةً: كالجانب العقدي، والتعبدي، والأخلاقي، والاجتماعي والفكري، كانت دراستي بعنوان: **(التوجيهاتُ التربويةُ وأساليبُها المستنبطةُ من سورة الممتحنة – دراسةٌ موضوعيةٌ تطبيقيةٌ).**

أولًا/ أهمية اختيار الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في نقاط عدة، منها هذه الثلاث:

١. استنباط الحقائق والهدايات، والعبر والعظات من السور القرآنية، التي تمثل دورًا أساسيًّا في تربية الفرد؛ وسورة الممتحنة إحدى هذه السور.
٢. بيان التوجيهات القرآنية التربوية في سورة الممتحنة، وربط ذلك بواقع حياتنا المعاصرة؛ لنرى دورها في التربية العقدية والبناء للجيل المؤمن.

٣. تستند هذه الدراسة إلى القرآن الكريم ابتداءً، وهو كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما يعني أنها صادقةٌ في نتائجها ومخرجاتها، بخلافِ كثيرٍ من الدراسات التربوية التي تفتقر إلى ما تستند إليه.

ثانيًا/ أسباب اختيار الموضوع:

إن أبرزَ أسباب اختيار هذا الموضوع أربعةٌ كما يلي:

١. اختلاط مفهوم الولاء والبراء عند كثيرٍ من الناس، وابتغاءُ بعضِ بني قومِنا العزةَ عند الكافرين، والركونُ إليهم، فكان مناسبًا أن نبحثَ في سورة الممتحنة، ونفتشَ في ثناياها عما يعصِمُنا به الله من تلك الزَّلاّتِ؛ نهوضًا بأُمَّتِنا ودِينِنَا، وإنذارًا لقومِنا، ولعلَّهم يَحذَرُون.

٢. توضيحُ الدور التربوي الذي زخرتْ به سُوَرُ القرآن؛ للاستفادة منه في الحياة العملية.

٣. افتقارُ المكتبةِ الإسلاميةِ إلى بحثٍ مُحكّمٍ؛ يتناولُ هذا الموضوعَ من جوانبه المختلفة، في إطار دراسةٍ قرآنيةٍ تفسيريةٍ تربويةٍ موضوعيةٍ.

٤. دراسةُ موضوع قرآني من ناحية تربوية، وهو منحىً قليلٌ سالكوه من الباحثين، وطلبة العلم.

ثالثًا/ أهدافُ البحث وغاياتُه:

توجد عدة أهداف لهذا البحث، منها هذه الثلاثة:

١. خدمةُ القرآن الكريم، من خلال البحثِ في موضوع من موضوعاته، وفتحُ آفاقٍ جديدةٍ أمام الباحثين لدراسة موضوعات قرآنية مشابهة لهذا الموضوع.

٢. معرفةُ التوجيهاتِ التربوية القرآنية، وأساليبها المستنبطة من سورة الممتحنة وتوظيفُها، لعلاج مشكلات الواقع المعاصِر.

٣. إثراءُ المكتبة الإسلامية ببحث قرآنيٍّ تربويٍّ يتحدث عن التوجيهات التربوية وأساليبها المستنبطة من سورة الممتحنة –دراسة موضوعيةٌ تطبيقيةٌ محكمةٌ–.

رابعًا/ الدراسات السابقة:

تناولت بعضُ الرسائل العلمية سورة الممتحنة دراسةً تفسيرية موضوعيةً؛ ولم أَطَّلِعْ على تفسيرٍ يُحقّقُ المنهجَ الذي اعتمدته، وحاولتُ إظهارَه في هذه الدراسة، إلا ما كان من بعض الرسائل الجامعية التي تناولت هذا الموضوع في سورٍ أخرى من جوانبَ أخرى، وهي:

أ- **رسالة ماجستير بعنوان: (التوجيهات التربوية المتضمنة في سورة المجادلة)، للباحث: سعيد العمري، إشراف أ.د/ محمود محمد كسناوي.**

وقد تناول الباحثُ السورةِ من جانب تربوي، واعتمد المنهج الاستنباطي، وأفصحَ عن التوجيهات التربوية وآثارها التي تضمنتها سورة المجادلة.

ب- رسالة ماجستير بعنوان: (المضامين التربوية المستنبطة من سورة الفتح وآثارها)، للباحث: ياسر أبو هلال، إشراف د/ إبراهيم عيسى صيدم.

وقد تناول الباحثُ سورةِ الفتح من جانب تفسيري تربوي، واعتمد المنهج الاستنباطي، وأفصحَ عن المضامين التربوية التي تضمنتها السورة، وقسمها إلى: مبادئَ، وقيمٍ، وأساليبَ تربويةٍ.

وقد تناولتُ في دراستي التوجيهات التربوية التي حفلت بها سورة الممتحنة، وصنَّفتُها إلى توجيهاتٍ عقدية، وتعبدية، وأخلاقية، وسلوكية، واجتماعية، وفكرية، وحاولتُ أن أجدَ لها تطبيقًا من الواقع المعاصر في نهاية كل فصلٍ أو مبحثٍ أو مطلبٍ، ولم أفردِ الجانبَ التطبيقيَّ في مبحثٍ مستقلٍ؛ ليَسهُلَ الاستفادةُ من الموضوع، وتجنُّبًا للإطالة، ثم ختمتُ كل فصلٍ بمبحثٍ أخيرٍ، بَيَّنتُ فيه الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية القرآنية في السورة كلها.

خامسًا/ منهجُ الدراسة :

اتَّبعَ الباحثُ الطريقة الاستنباطية حسب منهجية التفسير الموضوعي، منطلقًا من الخطوات العشر التالية:

١. دراسةُ النصِّ القرآنيِّ لسورة الممتحنة من التفاسير المعتمدة.
٢. الاعتمادُ على آياتِ السورة، وتوزيعِها على فصول البحث، مع التوسعِ بما يخدم البحث.
٣. وضعُ العناوين المناسبة للفصول والمباحث والمطالب.
٤. تفسيرُ بعض الآيات تفسيرًا إجماليًّا، والوقوفُ على هداياتِها وفوائدِها.
٥. الاستشهادُ بالأحاديث والآثار التي تخدمُ موضوعَ البحث وتخريجُها، فإن كان في الصحيحين أو أحدهما؛ اكتفيتُ بذلك، وإلا فإنني أَخَرِّجُهُ من مَظَانِّه، مع ذِكرِ حُكمِ العلماء عليه إن وُجد، وما لم أوثق فيه؛ فهو من تدبيج الباحث وأسلوبه.
٦. الاستدلالُ بأقوالِ العلماءِ والمفكرينَ وأصحابِ الشأنِ ذوي العلاقةِ بموضوعِ البحث، مع التوثيقِ في الحاشيةِ حسبَ الأصول، والاستعانةُ بمصادرَ ومراجعَ عامةٍ تخدم موضوع البحث.
٧. توثيقُ الآياتِ القرآنية المذكورة، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث؛ تجنبًا لإثقالِ الحواشي.

٨. بيان بعض معاني المصطلحات الواردة في البحث بالرجوع إلى مظانِّها الأصلية، والترجمة لبعض الأعلامِ المغمورةِ التي ترد في البحث.

٩. مراعاةُ الأمانةِ العلميّةِ في النقلِ والتوثيقِ حسبَ الأصول.

١٠. إعدادُ الفهارسِ اللازمة التي يُحتاج إليها، لتسهيلِ الانتفاع بالرسالة.

سادسًا/ خطة البحث:

يتكونُ هذا البحثُ من مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثة فصولٍ –تحتوي على عدة مباحثَ ومطالبَ–، وخاتمةٍ، وفهارسَ على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها أهميةُ الموضوعِ، وأسبابُ اختيارِه، وأهدافُ البحثِ وغاياتُه، والدراساتُ السابقةُ، ومنهجيةُ البحث ثم خطةُ البحث.

تمهيد

مصطلحات عنوان البحث، وتعريفٌ عامٌّ بالسورة:

أولًا: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

أ- تعريف التوجيهات التربوية

ب- تعريف الأساليب التربوية

ثانيًا: بين يدي سورة الممتحنة.

أ- تعريف عامٌ بالسورة.

١. اسم السورة.

٢. أسباب نزول السورة.

٣. نوع السورة، وزمن نزولها، والجو الذي نزلت فيه ، وترتيبها، وعدد آياتها.

ب- هدف السورة الرئيسي، وأهمُّ مقاصدها.

١. هدف السورة ومحورها الرئيس.

٢. أهمُّ مقاصد السورة.

ت- مناسبات تتعلق بالسورة.

١. المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.

٢. المناسبة بين أول السورة وآخرها.

٣. مناسبة السورة لما قبلها.

٤. مناسبة السورة لما بعدها.

الفصل الأول

توجيهاتٌ تربويةٌ عَقَدِيَّةٌ

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: حرمة موالاة الكافرين بالنصرة والتأييد والمودة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: معنى الموالاة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: حكم موالاة المؤمنين للكافرين.

المطلب الثالث: علة وجوب قطع المؤمنين لموالاة للكافرين.

المطلب الرابع: عاقبة موالاة المؤمنين للكافرين في الدنيا والآخرة.

المطلب الخامس: حرمةُ الاستغفارِ للمشركين.

المبحث الثاني: النهي عن موالاة اليهود.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النصوص الواردة في تحريم الموالاة لليهود

المطلب الثاني: حكم التعاون مع العدو، ونقل الأخبار إليهم.

المبحث الثالث: توجيهات عقديّة في توحيد الله ﷻ.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اعتقادُ البعث يوم القيامة، والمصيرُ إلى الله ﷻ.

المطلب الثاني: إثباتُ بعضِ أسماء الله ﷻ وصفاته، في ضوء سورة الممتحنة.

المبحث الرابع: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية العقدية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أسلوب الترغيب والترهيب.

المطلب الثاني: أسلوب النداء القرآني.

المطلب الثالث: أسلوب الإقناع.

الفصل الثاني

توجيهات تربوية تعبدية وأخلاقية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية تعبدية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: رابطة الدين أقوى من كل رابطة.

المطلب الثاني: تقوى الله ﷻ، والتوكل عليه ﷻ، والإنابة إليه ﻷ.

المطلب الثالث: الضراعة إلى الله باتّقاء الفتنة، ومغفرة الذنوب.

المبحث الثاني: توجيهات تربوية أخلاقية.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: النهي عن الإشراك بالله ﻷ.

المطلب الثاني: حرمةُ السرقة.

المطلب الثالث: النهي عن الزنا.

المطلب الرابع: حُرمةُ قتل الأولاد.

المطلب الخامس: النهيُ عن البهتان المُفتَرَى.

المطلب السادس: الأمرُ بطاعة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية التعبدية والأخلاقية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب الدعاء.

المطلب الثاني: أسلوب الأمر والنهي.

الفصل الثالث

توجيهات تربوية سلوكيةٌ واجتماعيةٌ وفكريةٌ

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: توجيهات تربوية سلوكية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التماس العذر، وإنزال الناس منازلهم.

المطلب الثاني: العدل والإحسان.

المطلب الثالث: القدوة الحسنة في إبراهيم ﷺ، وغيره من الأنبياء.

المطلب الرابع: أهميةُ مبدأ الحذر في قضية امتحان المؤمنات، وغيرها.

المبحث الثاني: توجيهات تربوية اجتماعية.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العلاقات مع غير المسلمين.

المطلب الثاني: النهي عن نكاح المشركة.

المطلب الثالث: فقه تغيير المنكر.

المطلب الرابع: الله عليمٌ بالسرائر.

المبحث الثالث: توجيهات تربوية فكرية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حدةُّ ألسنة الكافرين، وأثرها على دعوة الإسلام والمسلمين.

المطلب الثاني: بيعة النساء.

المبحث الرابع: الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسلوب ضرب الأمثال.

المطلب الثاني: أسلوب الرجاء، والبشارة بالخير.

الخاتمة، وتتضمن: **أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث.**

الفهارس، وتتضمن خمسة أنواع:

١. فهرس المصادر والمراجع.

٢. فهرس الآيات القرآنية.

٣. فهرس الأحاديث النبوية.

٤. فهرس الأعلام والتراجم.

٥. فهرس الموضوعات. (ويوضع في مقدمة البحث؛ تبعًا للمنهجية المتبعة في خطة عمادة البحث العلمي)

تمهيد

مصطلحات عنوان البحث، وتعريف عام بالسورة

تمهيد

أولًا: تعريف المصطلحات الواردة في عنوان البحث.

أ. تعريف التوجيهات التربوية:

١. **التوجيهات لغةً:** مأخوذةٌ من الوجه، قال ابن منظور: "الوَجْهُ: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ الوُجُوه، ووَجْهُ الْكَلَامِ: السبيلُ الَّذِي تَقْصِدُهُ بِهِ"(١).

٢. **التربية لغةً:** (رَبَا) الشَّيْءُ زَادَ، وقَوْلُكَ: (أَرْبَيْتُ) إِذَا أَخَذْتَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْتَ، وَ(رَبَّاهُ تَرْبِيَةً) وَ (تَرَبَّاهُ)؛ أَيْ: غَذَّاهُ، وَهَذَا لِكُلِّ مَا يُنَمِّي كَالْوَلَدِ، وَالزَّرْعِ، وَنَحْوِهِ(٢).

٣. **التوجيهات اصطلاحًا:** هي الإرشادات والوصايا التي يتلقاها الإنسان من تعاليم دينه، وشريعته.

٤. **التربية اصطلاحًا:** هي عمليةٌ منهجيةٌ متدرجةٌ، تهدفُ إلى تنشئة الإنسان الصالح وتكوينه، وَفقًا لغاية الخلق(٣).

ومن خلال التعريفات السابقة؛ يرى الباحث أن التوجيهات التربوية هي: الإرشادات والوصايا والدلائل التربوية، سواءٌ كانت في الجوانب العقدية، أو التعبدية، أو الاجتماعية، أو السلوكية، أو الفكرية، التي اشتملت عليها سور القرآن الكريم، والتي تعمل على توجيه الإنسان المسلم في مراحل حياته المختلفة، وتربيته تربيةً صالحةً كما يريد الله ﷻ.

ب. تعريف الأساليب التربوية:

١. **الأسلوب لغة:**

الأُسْلُوب: السَّطْرُ من النَّخِيل، وكُلُّ طَرِيقٍ مُمْتَدَ فَهُوَ أُسْلُوبٌ، والأُسْلُوبُ: الوَجْهُ والمَذْهَبُ والطريق، يُقَال: هُمْ فِي أُسْلُوب سُوْءٍ، ويُجْمَعُ عَلَى أَسَالِيب، والأُسْلُوبُ، بِالضَّمِّ: الفَنُّ، يُقَال: أَخَذَ فُلَانٌ فِي أَسَالِيبَ من القَوْل، أَي أَفَانِين مِنْهُ(٤).

٢. **الأسلوب اصطلاحًا:**

"هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه"(٥).

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٣/ ٥٥٥

(٢) انظر: مختار الصحاح، الحنفي الرازي، ص: ١١٧.

(٣) انظر: مقدمة في التربية الإسلامية، أبو دف، ص:٣.

(٤) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٣/ ٧١

(٥) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، ج٢/ ٣٠٣

ويرى الباحث أن الأسلوب القرآني هو: الطريقة التي انفرد بها القرآن الكريم في اختيار ألفاظه، ونظم كلامه، وبث توجيهاته التي يُستفادُ منها في إرشاد الإنسان المسلم وتوجيهه.

ثانيًا: بين يدي سورة الممتحنة.

١. تعريف عامٌ بالسورة.

سورة الممتحنة عظيمةٌ في آدابها، جليلةٌ في معانيها، وعِبَرِها وتوجيهاتها، مثلها كباقي سور القرآن الكريم، وقد تضمنت آدابًا وتوجيهاتٍ وإرشاداتٍ، تحقق للإنسان المسلم السعادةَ في الدارين.

وقبل الشروع في التنقيب عن التوجيهات القرآنية التربوية التي تضمنتها هذه السورة؛ يَحسُن أن نتناول بعض معالمها، كبيان اسمها، وعدد آياتها، وأسباب نزولها، وفضائلها، والجو الذي نزلت فيه، وزمن نزولها، ومحورها، وموضوعاتها، والمناسبات فيها، وفيما يلي تفصيلُ ذلك في ثلاثة فروع:

١. أسماء السورة.

ذكر المفسرون أربعة أسماءٍ لهذه السورة[١]، هي: "الممتحِنة" بكسر الحاء، و"الممتحَنة" بفتح الحاء، و"المودة"، و"الامتحان"، وكل اسم من هذه الأسماء يُشير إلى بعض مقاصد السورة وأغراض نزولها.

فأما التسمية الأولى: "سورة الممتحِنة" بكسر الحاء، فهي اسم فاعلٍ، أي: المختبِرة، أُضيفَ الفعل إليها مجازًا، كما سميت سورة "براءة" المبعثرة والفاضحة، لِمَا كشفتْ من عيوب المنافقين[٢]، وعلى هذا؛ فالإضافة بيانيةٌ، أي السورة الممتحِنة، التي امتحنت المؤمنات المهاجرات من مكة إلى المدينة.

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ٤٩، فتح القدير، الشوكاني ٥/ ٢٥٠، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٨/ ١٢٩، روح المعاني، الألوسي ١٤/ ٢٥٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ٤٩.

وأما التسمية الثانية: "سورة الممتحَنة" بفتح الحاء، فهي اسم مفعولٍ، أُضيفَ إلى المرأة التي نزلت فيها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط[1]، قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ﴾[الممتحنة:١٠]، وهي امرأة عبد الرحمن بن عوف، ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن[2] [3]، فالإضافة هنا ليست بيانيةً، ويُحمل التعريف على العهد، ويكون المعهود أول امرأة امتحنت في إيمانها، والمعنى: سورة المرأة المهاجرة التي نزلت فيها آية الامتحان، وهذا هو الاسم المشهور للسورة[4]، قال ابن عاشور: " ولك أن تجعل التعريفَ تعريفَ جنسٍ، أي النساء الممتحنة"[5].

وقد سميت بها لدلالة آية الامتحان على أنه لا يكتفي في باب الصحة بظواهر الأدلة كالهجرة، بل لا بد من اختبار البواطن، فدلائل الاعتقادات أولى بذلك، وهذا من أعظم المقاصد التي جاء بها القرآن[6].

وأما التسمية الثالثة: "سورة المودة"[7]، ولعلهَّا سمِّيت به لورودِ لفظ "المودة" ثلاث مراتٍ في السورة؛ الأولى والثانية كانتا في أول آية منها، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾، إلى قوله ﷻ: ﴿ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ

---

(١) أُمُّ كُلْثُوْمٍ بِنْتُ عُقْبَةَ ابْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، مِنَ المُهَاجِرَاتِ، أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ، وَبَايَعَتْ، وَلَمْ يَتَهَيَّأْ لَهَا هِجْرَةٌ إِلَى سَنَةِ سَبْعٍ، وَكَانَ خُرُوْجُهَا زَمَنَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ، ونزلت فيها آية الامتحان، وَلَمْ يَكُنْ لأُمِّ كُلْثُوْمٍ بِمَكَّةَ زَوْجٌ، فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ، ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ، فَوَلَدَت لَهُ: إِبْرَاهِيْمَ، وَحُمَيْداً، فَلَمَّا تُوُفِّيَ عَنْهَا، تَزَوَّجَهَا عَمْرُو بنُ العَاصِ، فَتُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ في خلافة علي ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٢/٢٧٧.

(٢) إِبْرَاهِيْمُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيُّ، الإِمَامُ، الفَقِيْهُ، أَبُو إِسْحَاقَ الزُّهْرِيُّ، العَوْفِيُّ، المَدَنِيُّ، أَخُو أَبِي سَلَمَةَ الفَقِيْهِ، وَحُمَيْدٍ، وقد حَدَّثَ عَنْ: أَبِيْهِ، وَعَنْ: عُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَسَعْدٍ، وَعَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ، وَجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ﷺ، ورَوَى عَنْهُ: ابْنَاهُ؛ سَعْدُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ قَاضِي المَدِيْنَةِ، وَصَالِحُ بنُ إِبْرَاهِيْمَ، وَعَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ، وَابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بنُ عَمْرِو بنِ عَلْقَمَةَ، وَغَيْرُهُم، وَثَّقَهُ: النَّسَائِيُّ، وتُوُفِّيَ: سَنَةَ ٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٤/ ٢٩٢.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ٤٩.

(٤) انظر: فتح الباري، ابن حجر، / ٦٣٣

(٥) التحرير والتنوير، ٢٨ / ١٢٩.

(٦) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ٩/ ١٩٩.

(٧) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، ص:٩٢.

﴿وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ ﴾[الممتحنة:١]، والثالثة في قوله ﷻ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾[الممتحنة:٧].

وأما التسمية الرابعة: "سورة الامتحان"[1]، جاءت بصيغة المصدر، ولعلهًا سمِّيت به لِما ورد في السورة من وجوب امتحان النساء المهاجرات، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ﴾[الممتحنة:١٠].

٢. أسباب نزول السورة.

لقد ذكرت عدة روايات في سبب نزول السورة، موزعة على آياتها، منها ما هو نص صريح في السببية، ومنها ما هو محتمل للسببية وغيرها، مما يدخل في معنى الآية من وقائع وحوادث، وفيما يأتي تفصيل أسباب نزول آيات السورة في أربعة بنود كما يأتي:

أ- **قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ...﴾ الآية،** [الممتحنة:١].

قال ابن عاشور: "اتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ وَثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْأَحَادِيثِ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةِ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَ بِهِ حَاطِبُ بنُ أَبِي بَلْتَعَةَ ﷺ حَلِيفُ بَنِي أَسَدِ بْن عَبْدِ الْعُزَّى مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ حَاطِبٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَصْحَابِ رَسُول الله ﷺ وَمِنْ أَهْلِ بَدْرٍ.

وَحَاصِلُ الْقِصَّةِ مَأْخُوذَةٌ مِمَّا فِي صَحِيحِ الْآثَارِ، وَمَشْهُورِ السِّيرَةِ: أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ قَدْ تَجَهَّزَ قَاصِدًا مَكَّةَ، قِيلَ لِأَجْلِ الْعُمْرَةِ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَهُوَ الْأَصَحُّ، وَقِيلَ لِأَجْلِ فَتْحِ مَكَّةَ وَهُوَ لَا يَسْتَقِيمُ، فَقَدِمَتْ أَيَّامَئِذٍ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ امْرَأَةٌ تُسَمَّى سَارَةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي عَمْرِو بْنِ صَيْفِيٍّ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَتْ عَلَى دِينِ الشِّرْكِ، فَقَالَتْ لرَسُول الله ﷺ: كُنْتُمُ الْأَهْلَ وَالْمَوَالِيَ وَالْأَصْلَ وَالْعَشِيرَةَ وَقَدْ ذَهَبَ الْمُوَالِي -تَعْنِي مَنْ قُتِلَ مِنْ مَوَالِيهَا يَوْمَ بَدْرٍ-، وَقَدِ اشْتَدَّتْ بِيَ الْحَاجَةُ فَقَدَمْتُ عَلَيْكُمْ لِتُعْطُونِي وَتَكْسُونِي، فَحَثَّ رَسُول الله ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ عَلَى إِعْطَائِهَا، فَكَسَوْهَا وَأَعْطَوْهَا وَحَمَلُوهَا، وَجَاءَهَا حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ فَأَعْطَاهَا كِتَابًا لِتُبَلِّغَهُ إِلَى مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِعَزْمِ رَسُول الله ﷺ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِمْ، وَآجَرَهَا عَلَى إِبْلَاغِهِ فَخَرَجَتْ، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى رَسُوله ﷺ بِذَلِكَ"[2].

---

(١) انظر: جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، ص:٩٢.

(٢) التحرير والتنوير، ج٢٨/ ١٣٣، انظر أيضًا: تاريخ الخميس، في أحوال أنفس النفيس، حسين بكري، ٢/٧٨.

وعن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ: **(ائْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا)** فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا، فَإِذَا نَحْنُ بِالْمَرْأَةِ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَتُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟)** قَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَكَانَ مِمَّنْ كَانَ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ فِيهِمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي، وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«صَدَقَ»** فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي، يَا رَسُولَ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: **(إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)**، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ...﴾[الممتحنة:١](١).

ب- قوله ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ...﴾ الآية، [الممتحنة:٨].

عن أسماء بنت أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: أتتني أمي راغبة، في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: «**نعم**»، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ...﴾، [الممتحنة:٨] (٢).

وعن عبدِاللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ، قَالَ: قَدِمَتْ قُتَيْلَةُ ابْنَةُ عَبْدِ الْعُزَّى، عَلَى ابْنَتِهَا أَسْمَاءَ ابْنَةِ أَبِي بَكْرٍ بِهَدَايَا، وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَأَبَتْ أَسْمَاءُ أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا، وَتُدْخِلَهَا بَيْتَهَا، فَسَأَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا النَّبِيَّ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ..﴾ **الآية،** [الممتحنة:٨]، فَأَمَرَهَا أَنْ تَقْبَلَ هَدِيَّتَهَا وَأَنْ تُدْخِلَهَا بَيْتَهَا(٣).

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الفضائل، فضائل أهل بدر ﷺ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، ٤/ ١٩٤١، رقم الحديث: ٢٩٩٤.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، الأدب، صلة الوالد المشرك، ٨/٤، رقم الحديث: ٥٩٧٨.

(٣) المسند، أحمد بن حنبل، مسند النساء، حديث أسماء، ٤٤/ ٤٨٤، قال الألباني: صحيح، وله أصلٌ في الصحيحين.

ت- قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ..﴾ الآية، [الممتحنة:١٠].

وردت في سبب نزول هذه الآية روايات منها:

أنّ سهيلَ بن عمرو لمَّا كاتبَ رسول الله ﷺ يومئذٍ، كان فيما اشترط على النبي ﷺ، أنه لا يأتيك منا أحدٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيلٌ إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد يومئذٍ أبا جندلٍ إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحدٌ من الرجال إلا ردّه في تلك المدة، وإن كان مسلمًا، وجاءت المؤمناتُ مهاجراتٍ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرجَ إلى رسول الله ﷺ يومئذٍ، وهي عاتقٌ، فجاء أهلُها يسألونَ النبيَّ ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم، لِمَا أنزل الله فيهن: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ...﴾ الآية،**[الممتحنة:١٠][(١)].

وروى الواحديُّ عن ابن عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: إنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ صَالَحُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَنَّ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَى أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَهُوَ لَهُمْ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ الْكِتَابِ وَخَتَمُوهُ، فَجَاءَتْ سُبَيْعَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةُ بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْكِتَابِ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِالْحُدَيْبِيَةِ، فَأَقْبَلَ زَوْجُهَا وَكَانَ كَافِرًا، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ رُدَّ عَلَيَّ امْرَأَتِي، فَإِنَّكَ قَدْ شَرَطْتَ لَنَا أَنْ تَرُدَّ عَلَيْنَا مَنْ أَتَاكَ مِنَّا وَهَذِهِ طِينَةُ الْكِتَابِ لَمْ تَجِفَّ بَعْدُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ[(٢)].

ث- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ﴾ الآية، [الممتحنة: ١٢].

عن عروة بن الزبير أن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحِنُهُنَّ بهذه الآية: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ..﴾**، فمن أقرَّ بهذا الشرطِ منهُنَّ، قال لها رسول الله ﷺ: **(قد بايعتك)** كلامًا يكلمُهَا به، ولا والله ما مست يدُه يدَ امرأةٍ قطُّ في المبايعة، وما بايَعَهُنَّ إلا بقوله[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الشروط، ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة، ٣/ ١٨٩، رقم الحديث: ٢٧١١.

(٢) أسباب النزول، ص:٤٢٤.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، الشروط، ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة، ٣/ ١٨٩، رقم الحديث: ٢٧١٢.

٣. نوع السورة، وزمن نزولها، والجو الذي نزلت فيه، وترتيبها، وعدد آياتها.

سورة الممتحنة مدنيةٌ في قول الجميع[١]، والآية الأولى منها نزلت في شأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة ﷺ إلى قريش، ووقع الخلافُ في الوقت الذي نزلت فيه تلك الآيةُ على قولين:

الأول: أن كتاب حاطب بن أبي بلتعة ﷺ إلى قريش كان عند تجهز النبي ﷺ للحديبية، وذكر ابن جرير الطبري من رواية الحارث عن علي بن أبي طالبٍ ﷺ قال: "لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة، أسرّ إلى ناس من أصحابه أنه يريد مكة، فيهم حاطب بن أبي بلتعة، وأفشى في الناس أنه يريد خيبر، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن النبيّ ﷺ يريدكم ..[٢].

والثاني: أن كتابَ حاطبٍ إلى أهل مكة كان عند تجهز النبي ﷺ لفتح مكة[٣].

قال ابن عاشور: "فإن كان الأصح الأول –وهو الذي نختاره– كانت السورة جميعها نازلة في مدة متقاربة، لأنَّ امتحان أم كلثوم بنت عقبة كان عقب صلح الحديبية، ويكون نزول السورة مُرتبًا على ترتيب آياتها وهو الأصل في السور، وعلى القول الثاني يكون صدر السورة نازلًا بعد آيات الامتحان"[٤].

وقد نزلت آيات السورة في جوٍّ جهاديٍّ مشحونٍ بالحذر والتأهب، فقد كان النبي ﷺ يتجهزُ لفتحِ مكة، بعدَ أن بلغه خبرُ نقض قريشٍ عهدَ الصلح الذي بينهم وبينه، وما كان من اعتداءِ بني بكرٍ –حلفاءُ قريشٍ– على خُزاعة –حُلفاءُ النبي ﷺ–، وقتلِهم رُكَّعًا سُجَّدًا، ويحرصُ النبي ﷺ أن يمضي الأمرُ في سريةٍ تامةٍ وكتمانٍ شديدٍ، حتى لا تأخذَ قريش حذرَها وأسلحَتَها، إذ أنه ﷺ لا يريدُ أن تُراقَ الدماءُ في البلدِ الحرامِ، فيُوعِزُ إلى أصحابه بالتجهُّزِ، ويُورِّي الأنظارَ عنه، فيُفشي بين الناس أنه يريدُ خيبرَ مبالغةً في التمويه، وإذ بالوحي ينزلُ عليه بأن رجلًا من أصحاب السابقة، ذا أعمالٍ جهاديةٍ مجيدةٍ؛ قد أرسل كتابًا مع امرأةٍ مشركةٍ إلى أهل مكة يخبرهم أن النبيَّ ﷺ يريدهم، فيُصدر أمره لعسكرِهِ أن يلحقوا بالمرأة وأن يُصادِروا منها الكتابَ، ثم يستوضحُ من حاطبٍ ﷺ سببَ هذا الضعفِ الذي حصلَ منه، فقبِلَ النبي ﷺ عذره وزكَّاهُ، ونزلت آياتُ السورة زاجرةً جابرةً، فهي تزجرُ المؤمنين، وتحذرهم أن يحذوا حذو حاطبٍ ﷺ، وتُبيِّن لهم أُسُسَ الاقتداء، والنصرة، والتأييد

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٨/ ٤٩.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣١٢، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٨١.

(٣) انظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٢٩/ ٥١٥، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/ ٨٢.

(٤) التحرير والتنوير، ٢٨/ ١٣١.

والمودة، والعلاقات مع غير المسلمين، وهي أيضًا تجبرُ خواطرهم بتثبيتهم، وطمأنتهم بأنه ﷻ جاعلٌ بينهم وبين الذي عادَوْا من المشركين مودةً بإسلامهم ودخولهم في دين الله أفواجًا.

ويُعدُّ ترتيب السورة في المصحف العثماني: الستين، ومن حيث نزولُ سور القرآن الكريم فهي الثانية والتسعون، وهي الخامسةُ حسب النزول المدني[١]، وعددُ آياتها ثلاث عشرة آية، ليس فيها اختلاف[٢].

٢. هدف السورة الرئيس، وأهمُّ مقاصدها.

١. هدف السورة ومحورها الرئيس.

هذه السورة كغيرها من السور المدنية تُعنى ببيان الأحكام التشريعية، ومن أهمها: تحديدُ معالم علاقة أهل الإيمان بغيرهم على المستوى المحلي والعالمي، والمحور الذي سعت لإبرازه هو: **(الكشف عن أثر العقيدة في حياة الفرد والمجتمع)**، فبينت السورة أن العقيدة هي الأساس الذي ترتكز عليه كل علاقة أو تذوب، والمتأمل في مقاطعها؛ سوف يرى بوضوح كيف تكون العقيدة ضابطًا وميزانًا لكل ولاءٍ أو رابطة؛ فقيمُ أهل الأرض كلها من قرابةٍ وزوجيةٍ وقبيلةٍ وجنسٍ لا اعتبارَ لها، إلا بحسب قُربها وبُعدها من هذا الميزان الذي نصبه الله ﷻ لعباده المؤمنين في هذه السورة[٣].

إن آياتِ السورة كلَّها تمثل أنموذجًا تربويًّا فريدًا في تربية النفوس المؤمنة؛ فكل آية تنشئ في تلك النفوس صورةً وقيمًا وموازينَ وفكرةً جديدةً عن الكون والإنسان والحياة، وتبين وظيفة المؤمنين في الأرض، وغاية الوجود الإنساني، وكأن القرآن بنزوله مُفرَّقًا؛ يهدفُ إلى أن يجمع المؤمنين في كنف الله، ليعلمهم ويبصرهم بحقيقة وجودهم وغايته، وليفتح أعينهم على ما يحيط بهم من عداوات ومكرٍ وكيد، وليشعرهم أنهم رجاله وحزبه، وأنه يريد بهم أمرًا، ويحقق بهم قدرًا، ومن ثم فهم يُوسَمُونَ بسِمَتِه، ويحملون شارته، ويعرفون بهذه الشارة وتلك السمة بين الأقوام جميعًا، في الدنيا والآخرة، وإذن فليكونوا خالصين له منقطعين لولايته، مُتجرِّدين من كل وشيجة غير وشيجته في عالم الشعور، وعالم السلوك[٤].

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١/ ١٩٤.

(٢) انظر: البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، ص:٢٤٤.

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ٨/٩٠.

(٤) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٥٣٩.

٢. أهمُّ مقاصد السورة.

تناولت السورة الكريمة عددًا من المقاصد والمواضيع التي انتظمت؛ لتعضِّد محور السورة الذي قررته سابقًا، أُلَخِّصُها في ستة بنودٍ كما يأتي:

أ- التحذير من موالاة أعداء الله ﷻ.

ب- إبراهيم ﵇ ومن معه خيرُ قدوة في الولاء والبراء.

ت- الموالاةُ المباحة والموالاةُ المحرمة.

ث- امتحانُ المؤمنات المهاجرات.

ج- مبايعةُ النساءِ للرسول ﷺ.

ح- التحذير من موالاة اليهود والمنافقين.

٣. مناسبات تتعلق بالسورة.

وفي ذلك أربعة فروع كما يأتي:

١. المناسبة بين اسم السورة وهدفها الرئيس.

تتناسب أسماء السورة الأربعة المذكورة سابقًا مع محورها تناسبًا بديعًا، وندركُ ذلك في أربعة بنودٍ كما يأتي:

أ- فأما تسمية السورة بالمُمْتَحِنة؛ فتأخذ مدلولها من إرشاد هذه السورة إلى امتحان النساء المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإسلام لمعرفة الباعث لهنّ على الهجرة، والتحقق من صدق إيمانهن، وحقيقة ما يظهرنه من معتقد، وذلك مناسبٌ لمحور السورة؛ لأن من يعلن انضواءه تحت لواء العقيدة، لابد من العلم بصدقه فيما يدعيه، فكانت هذه السورة هي الممتحِنة والكاشفةُ عن إيمان تلك المهاجرات.

ب- وأما تسمية السورة بالمُمْتَحَنةِ؛ فالمقصودُ بها المرأةُ أو النساءُ اللواتي أمر الله بامتحانهن إذا قدمن مهاجرات؛ لأن الغرض من ذلك الامتحان هو التأكد بما يغلبُ على الظنِّ أنهنَّ صادقاتٌ في إيمانهنَّ، فيترتبُ عليه حكمٌ آخرُ؛ وهو عدمُ حِل ردهن إلى أزواجهن الكفار؛ لأن الله ﷻ لا يبيح مؤمنةً لمشركٍ، فلا يُعتدُّ بهذه الزوجيّة لانفصام العصمة بينهما بسبب الكفر واختلاف المعتقد، وهذا يدل على قيمة العقيدة في كل رابطة[١].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٣٥٣٧/٦

ت- وأما تسميتها بسورة المودة؛ فلورود لفظ المودة في الآية الأولى من السورة بعد النهي عن اتخاذ الكفار المعاندين أولياء، وهذا له تعلق بمحور السورة؛ لأن علة النهي هي أن هؤلاء عادوا دين الله ومنهجه، وأخرجوا الرسول ﷺ وصحابته من مكة، كراهةً لما هم عليه من العقيدة السليمة، قال ﷻ: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾[الممتحنة:١].

فمن كان هذا شأنه تجب مقاطعته، ولا تُلقى إليه أخبار النبي ﷺ؛ لأن الإلقاء لا يكون إلا بسبب المودة، ومن علامات الإيمان وأسس العقيدة: بغض أعداء الله لا مودتهم.

وقد ذكرت المودة في تضاعيف السورة ثلاث مرات، الأولى والثانية في سياق النهي عن اتخاذ الكفار المعاندين أولياء، والثالثة مع من يرجى أن يترك عناده ويستسلم، قال تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة:٧] [١].

ث- وأما تسميتها بسورة الامتحان -بالمصدر-، فبينها وبين محور السورة علاقة تلازم قوية؛ لأن صورة الامتحان تتفق تمامًا مع محورها الرئيس، فقد سُئِلَ ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: **(كان يمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبًّا لله ورسوله)**[٢]، فإذا حلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك، أعطى النبي ﷺ زوجها مهرها، وما أنفق عليها، ولم يردها[٣].

٢. **المناسبة بين أول السورة وآخرها.**

من لطائفِ التناسب بين المطلع والخِتام؛ أن كليهما قد بدئ بالنداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ثم أعقب ذلك بأداة النهي (لا)، ثم عبَّرَ عن النهي في المطلع بالافتعال (الاتخاذ)، وفي الختام بالتَفَعُّل ﴿تَتَوَلَّوْاْ﴾ بصريح النهي، وسرُّ ذلك: "أنه لمَّا كان الميل عن الطريق الأقوم على خلاف ما

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ٩٢/٨.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣٢٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨/ ٦٢.

تأمر به الفطرة الأولى فلا يكون إلا بمعالجتها؛ عبر بالتَفَعُّل، كما عبر به أول السورة بلفظ (الاتخاذ)، فقال في آخرها: ﴿لَا تَتَوَلَّوْاْ﴾، أي: لا تعالجوا أنفسكم أن تتولوا"[١].

وبين مطلع السورة وختامها تناسق متينٌ، وتناسبٌ بديعٌ، سواءٌ حُملا على العموم أو على الخصوص.

فإذا حُملتا على العموم، كانت الأخيرة للتأكيد، فإنه "لَمَّا فَتَحَ هَذِهِ السُّورَةَ بِالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ؛ خَتَمَهَا بِمِثْلِ ذَلِكَ تأكيدًا لترك موالاتهم، وَتَنْفِيرِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ تَوَلِّيهِمْ، وَإِلْقَاءِ الْمَوَدَّةِ إِلَيْهِمْ"[٢].

وإذا حُملت الآية الأخيرةُ على الخصوص، وأُريدَ بها اليهود والمنافقون؛ فالمناسبة أَنَّه "لَمَّا نَهَى أَوَّلًا عَنْ مُوَالَاةِ الْأَعْدَاءِ، وَأَمَرَ بِتَقْطِيعِ الْأَوَاصِرِ بَيْنَ ذَوِي الْأَرْحَامِ، جَاءَ بَعْدَهَا مَا يُشِيعُ الْأَمَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ﴾، وَ﴿عَادَيۡتُم﴾: عَامَّةٌ بَاقِيَةٌ عَلَى عُمُومِهَا، وَلَكِنَّ الْيَهُودَ وَالْمُنَافِقِينَ لَمْ يَدْخُلُوا فِي مَدْلُولِ ﴿عَسَى﴾ تِلْكَ، فَنَبَّهَ ﷻ عَلَيْهِمْ بِخُصُوصِهِمْ لِئَلَّا يَطْمَعَ الْمُؤْمِنُونَ أَوْ يَنْتَظِرُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَأَيْأَسَهُمْ مِنْ مُوَالَاتِهِمْ وَمَوَدَّتِهِمْ، كَيَأْسِ الْيَهُودِ وَالْمُنَافِقِينَ فِي الْآخِرَةِ، أَيْ: بِعَدَمِ الْإِيمَانِ الَّذِي هُوَ رَابِطَةُ الرَّجَاءِ الْمُتَقَدِّمِ فِي ﴿عَسَى﴾، وَفِعْلًا كَانَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ ﷻ، فَقَدْ جَعَلَ الْمَوَدَّةَ مِنْ بَعْضِ الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ يَجْعَلْهَا مِنْ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ وَلَا الْيَهُودِ، فَهِيَ إِذًا مُؤَسِّسَةٌ لِمَعْنًى جَدِيدٍ، وَلَيْسَتْ مُؤَكِّدَةً لِمَا تَقَدَّمَ"[٣]، ومن المعلوم أن المعنى إذا دار بين التأسيس التأكيد؛ فمحمله على التأسيس أولى.

٣. مناسبة السورة لما قبلها.

اشتمل آخرُ سورة الحشر على إبراز أسماء الله الحسنى وصفاته العُليا، وأولُ سورة الممتحنة مشتَمِلٌ على حرمة مودة من لم يعترف بتلك الأسماء والصفات التي تليق بجلاله وكماله ﷻ، ولم يعمل بمقتضاها، وما تتطلبه من تكاليف شرعية[٤].

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/ ٥٢٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير، أبو حيّان الأندلسي، ١٠/ ١٦١.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، والكلام لمتممه: عطية سالم، ٨/ ١٠٣.

(٤) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مصطفى مسلم، ٨/٩٥.

وفي المناسبة بين مضموني السورتين ارتباطٌ من وجهين:

الأول: لمَّا كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، جاءت سورة الممتحنة بذكر المعاهدين من المشركين، لأنها نزلت بعد صلح الحديبية.

الثاني: أن الله ﷻ لمَّا ذكر في سورة الحشر موالاة الذين نافقوا للذين كفروا من أهل الكتاب؛ افتتح الممتحنة بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء، لئلا يشبهوا المنافقين[1]، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، "وكرّرَ ذلك وبسطه، إلى أن ختَمَ السورة به، فكانت غايةً في الاتصال بتلك، ولأجل هذا التعلق؛ فصِلَ بين سورتي الحشر والصف مع تآخيهما في الافتتاح بـ ﴿سَبَّحَ﴾"[2].

٤. مناسبة السورة لما بعدها.

لما ختمت الممتحنة بالأمر بتنزيهه ﷻ عن تولي من يخالف أمره بالتولي عنهم، والبراءة منهم، افتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ أي: أوقع التنزيه الأعظم للملك الأعظم[3].

وذكر ﷻ الجهاد في الممتحنة إشارةً، وبسطه في الصف أبلغَ بسطٍ[4]، فقد اشتملت سورة الصف على الحث على الجهاد والترغيب فيه، وفى ذلك تأكيدٌ للنهيِ الذي تضمنته سورة الممتحنة من اتخاذ الكفارِ أولياءَ من دون المؤمنين[5].

---

(١) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ٢٨/ ٦٠.

(٢) تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، السيوطي، ص:١٢٣.

(٣) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ٢٠/ ٢.

(٤) انظر: تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، السيوطي، ص:١٢٣.

(٥) انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ٢٨/ ٧٩.

الفصل الأول
توجيهاتٌ تربويةٌ عَقَدِيَّةٌ

المبحث الأول

حرمة موالاة الكافرين بالنصرة والتأييد والمودة

إن كُلّ مذهب يعتقده جماعةٌ من الناس، ويخالفهم فيه آخرون؛ لا بُدَّ أن يُحْدِث اجتماعُ تلك الجماعة –على مذهبهم– بينهم تعاونًا وولاءً وتناصرًا فيه، وأن يكون عندهم براءٌ ممن خالفهم، وهذا سيؤدّي إلى التصادم وإلى المعاداة بينهما؛ هذه سُنّةٌ كونيّةٌ مُشَاهَدَةٌ، لا تحتاج إلى استدلال، بغير شاهد الوُجُود المرئيّ المعلوم.

إن اعتقاد الخصمين أنهما على حقّ في مسألةٍ ما، وأن من خالفهما على باطل، لا بُدَّ أن يُحدث بين الاثنين تفاصُلًا وتباينًا، بقدر أهميّة المسألة المختَلفِ فيها؛ ولن يزول هذا التَّفَاصُل إلا بهلاك المختلفَيْنِ، أو أحدهما، أو أن يتابع أحدهما الآخر[1]، إذ الموالاة والمعاداة بسبب اختلاف المناهج والعقائد، فطرةٌ فطرَ الله ﷻ الناسَ عليها؛ لا تبديلَ لخلقِ الله.

وقد بيَّنتُ في هذا المبحث حرمةَ موالاةِ المؤمنين للكافرين وبعض الأحكام المترتبة عليها، في خمسة مطالب كما يأتي:

المطلب الأول: معنى الموالاة لغة واصطلاحًا.

أ. الموالاة لغة:

(وَلَيَ) الْوَاوُ وَاللَّامُ وَالْيَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُرْبٍ؛ مِنْ ذَلِكَ الْوَلْيُ: الْقُرْبُ، وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ آخَرَ فَهُوَ وَلِيُّهُ[2]، قَالَ ابْنُ الأَعرابي: "وَالَى فُلَانٌ فُلَانًا إِذا أَحبَّه"[3]، والمولى: اسْمٌ يَقَعُ عَلَى جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ فَهُوَ: الرَّبُّ، والمالِك، والسَّيِّدُ، والْمُنْعِم، والْمُعْتِقُ، والنَّاصِر، والمُحِبُّ، والتَّابع، والجارُ، وَابْنُ العَم، والحَلِيفُ، والعَقِيدُ، والصِّهْرُ، والعَبْدُ، والمُعْتَقُ، والمُنْعَمُ عَلَيْهِ، ... وَقَدْ تَخْتَلِفُ مَصَادِرُ هَذِهِ الأَسماءِ، فالوَلايةُ بِالْفَتْحِ: فِي النَّسَبِ والنُّصْرة والعِتْق، والوِلايةُ بِالْكَسْرِ: فِي الإِمارة والوَلاءُ فِي المُعْتَق[4]، والمُوالاةُ: ضِدّ المُعاداة، والوَليُّ: ضِدُّ الْعَدُوِّ، وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم:٤٥][5].

---

(١) انظر: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، الشريف حاتم بن عارف العوني، ص: ٧.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ١٤١.

(٣) لسان العرب، ابن منظور ١٥/ ٤٠٩.

(٤) انظر: المصدر السابق، ١٥/ ٤٠٩.

(٥) انظر: المصدر السابق، ١٥/ ٤١١.

ب. الموالاة اصطلاحًا:

بالنظر في أدلة الكتاب والسنة المتضافرة في الموالاة، وُجِدَ أنها ترجعُ إلى معنيين اثنين بالتحديد: هما الحبُّ والنصرةُ، ولا يخفى عليك أن هذين المعنيين من معانيها في اللغة، وعليه؛ فإن الموالاة هي: حُبُّ الله ﷻ ورسوله ﷺ ودينِ الإسلام وأتباعِه المؤمنين، ونُصْرتُهم(١).

وبذلك تعلم، أَنَّهُ عندما يُقالُ: إن ركني الموالاة والمعاداة هما: الحب والنصرة في الموالاة، والبغض والعداوة في المعاداة، فإنَّما نعني بالنصرة وبالعداوة هنا النصرة القلبيّةَ والعداوةَ القلبيّة، أي: تمنِّي انتصار الإسلام وأهله، وتمنِّي اندحار الكفر وأهله، أمّا النصرة العملية والعداوة العمليّة فهما ثمرةٌ لذلك المعتقد، لا بُدّ من ظهورها على الجوارح، كما سبق(٢).

المطلب الثاني: حكم موالاة المؤمنين للكافرين.

إن الموالاة والمعادة في الإسلام معتقدٌ يقينيٌّ زخرت به الأدلة من كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، وقد جاءت معظمها لتبينَ وجوبَ موالاة المؤمنين بعضَهم بعضًا، وحرمةَ موالاة الكافرين بالنصرة والتأييد والمودة، فقال ﷻ مخاطبًا معاشر المؤمنين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، وقال ﷻ أيضًا: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾[المائدة:٥٥، ٥٦]، وقال ﷻ أيضًا: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٧١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، وَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ؛ وَالْكُفَّارُ أَعْدَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ أَوْجَبَ الْمُوَالَاةَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَيْنَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ، وَنَهَى عَنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ وَبَيَّنَ أَنَّ ذَلِكَ مُنْتَفٍ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِينَ"(٣).

وقال ﷻ في شأن المعاداة والمفاصلة بين المؤمنين والكافرين: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ

---

(١) انظر: الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، الشريف حاتم بن عارف العوني، ص: ٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص: ٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٨/ ١٩٠.

﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[آل عمران:٢٨]، ومعنى ذلك: "لا تتخذوا، أيها المؤمنون، الكفارَ ظهرًا وأنصارًا توالونهم على دينهم، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلُّونهم على عوراتهم، فإنه مَنْ يفعل ذلك ﴿فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ﴾، يعني بذلك: فقد برئ من الله ﷻ وبرئ الله ﷻ منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾، إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر، ولا تعينوهم على مُسلم بفعل"[١].

وقد أخبر الله ﷻ في مواضع كثيرة من القرآن أن هناك تلازمًا بين الإيمان وبين الولاء والبراء، وأن الإيمان بالله ﷻ، والإيمانَ بنبيِّه ﷺ مرتبطٌ بعدم ولاية الكفار، فثبوت موالاتهم يوجب عدم الإيمان؛ ومن هذا قوله ﷻ: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾[المائدة:٨١].

قال ابن تيمية: "فذكر جملة شرطية تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فدل ذلك على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء، ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء؛ ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله ﷻ، والنبي ﷺ، وما أنزل إليه"[٢].

وقد نقل ابن حزمٍ إجماعَ الأمة على حرمةِ موالاة الكافرين فقال: "وَصَحَّ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾[المائدة:٥١]، إنَّمَا هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِأَنَّهُ كَافِرٌ مِنْ جُمْلَةِ الْكُفَّارِ فَقَطْ، وَهَذَا حَقٌّ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ اثْنَانِ مِنْ الْمُسْلِمِينَ"[٣].

وقال ابن عطيَّة عند قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، "ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر واستحقاق النقمة والخلود في النار، ومن تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٦/ ٣١٣.

(٢) الإيمان، ص: ١٧.

(٣) المحلى بالآثار، ١٢/ ٣٣.

معتقد ولا إخلال بإيمان فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه"[1].

والخلاصة؛ أن الموالاةَ المطلقة محرمةٌ بالإجماع إذا كانت مرتبطة بالدين، وكان صاحبها مختارًا غيرَ مكرهٍ، وهو بذلك كافرٌ خارجٌ من الملة، سواء أكانت الموالاة ظاهرةً بالتأييد والنصرة والمظاهرة على المؤمنين، أو باطنةً بمحبة الكفارِ القلبيةِ، وحبِّ ظهورهم وانتصارهم على المسلمين.

وأمَّا إذا كانت الموالاة مقيدة بغرضٍ دنيويٍّ مع سلامة الاعتقاد، وبغضِ الكفر وأهله، كإعانة الكافرين لمصلحةٍ شخصيةٍ، أو خوفًا، أو لعداوةٍ دنيويةٍ بينه وبين من يقاتِلُهُ الكفارُ من المسلمين، وكالتجسس لصالح الكفار، فهذه كبيرةٌ من الكبائر لا تخرج صاحبها من الملة، لاحتمال أن يكون ذلك عن ضعفِ إيمان، وعدم محبة الكفر.

وسوف تتبينُ لك هذه المسألة بتمامها لاحقًا في مطلب مستقل إن شاء الله[2].

المطلب الثالث: علة وجوب قطع المؤمنين لموالاة للكافرين.

بعد أن اتضح حكم موالاة المؤمنين للكافرين، لا بد أن نتعرف علة هذا الحكم؛ فقد بيَّن الله ﷻ في كتابه الحكمَ -وهو النهيُ عن موالاة أعدائه، ومودتهم-فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، ثم ذكر العلة من هذا النهي فقال: ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ﴾[الممتحنة:١]، وذكر ﷻ ههنا علتين اثنتين، هما:

أولًا: الكفر.

إن السبب الأساسي الذي من أجله أرسل الله ﷻ رسله بالهدى ودين الحق؛ أن يظهروا على الدين كله، وألاّ تكون فتنةٌ، ويكون الدين كله لله، ومن أجل هذا السبب قام سوق الجنة والنار، وشُرِعَ الجهاد في سبيل الله، ليتحقق المقصدُ الأسمى، والغاية الأسنى: توحيد الله ﷻ.

وقد جعل الله ﷻ الإيمان والكفرَ ميزانًا لكل رابطة وولاء، ونهى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء، بل وأمر بقتالهم ابتداءً لكفرهم عند القدرة حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، فقال ﷻ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٢/ ٢٠٤

(٢) انظر: مطلب (العلاقات مع غير المسلمين) من هذه الدراسة، ص:١٠٨.

﴿يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾[التوبة:٢٩]، وقد أناط ربنا ﷻ قتالهم بوصف الشرك، ووصف الكفر، فقال: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:٥]، وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[التوبة:١٢٣]، وهو السبب ذاته الذي أمر الله ﷻ عباده المؤمنين أن يقطعوا صلتهم بالكافرين، لأنهم كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، ولا أعظمَ من هذه المُخالفة والمُشاقَّة، فقد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضُلاَّلٌ على غير هُدى[1].

والكفرٌ أصلٌ لكل عداوة وحربٍ يخوضها المشركون ضد المسلمين، وباعثٌ على كل طعنٍ منهم في الدين، ودافعٌ لنكثهم الأيمانَ والعهودَ والمواثيقَ كما قال ﷻ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴾[التوبة:١٢].

ثانيًا: إخراج النبي ﷺ والمؤمنين من ديارهم بسبب إيمانهم بالله ﷻ.

إن القرآن الكريم يركز كثيرًا على هذه القضية، ليُحرِّضَ المؤمنين على قطع موالاة الكافرين وعدم مودتهم، بل وقتالهم؛ جاء هذا في لفيفٍ من آياته:

منها الآية الأولى في سورة الممتحنة؛ التي تخاطب الذين آمنوا ألّا يتخذوا أعداء الله ﷻ وأعداءهم أولياء؛ "فيشعر المؤمنين بأنهم منه وإليه، يعاديهم من يعاديه، فهم رجاله المنتسبون إليه، الذين يحملون شارته في هذه الأرض، وهم أنصاره وأحباؤه، فلا يجوز أن يلقوا بالمودة إلى أعدائهم وأعدائه، ثم يذكرهم ﷻ بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم، وعدوانهم على هذا كله في تجنٍّ وظلم: ﴿وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ﴾ [الممتحنة:١]، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٨٥٥.

والمؤمنين، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالله ربهم؟ إنه يهيج في قلوب المؤمنين هذه الذكريات المرتبطة بعقيدتهم، وهي التي حاربهم المشركون من أجلها، لا من أجل أي سبب آخر، ويبرز القضية التي عليها الخلاف والخصومة والحرب"[1].

وكذلك قوله ﷻ: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ [التوبة:١٣]، وكذلك قوله ﷻ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ ﴾[التوبة:٤٠].

إن الله ﷻ قد أحلَّ القتال في الأشهر الحرم، وهو ما يعني بالنسبة لمعسكر المشركين تجاوز الأعراف والمواثيق الدولية التي كانت سائدةً آنذاك، وتعارفَ عليها العربُ عبرَ تاريخهم الطويل، مبيِّنًا أن إخراج الناس من ديارهم وفتنتهم عن دينهم بصدهم عن سبيل الله؛ أكبرُ عنده ﷻ من القتل والقتال في الأشهر الحُرُم، فقال ﷻ: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾ [البقرة:٢١٧]، وقال أيضًا: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[البقرة:١٩١].

إن ميل الناسَ إلى أوطانهم وديارهم وأرضهم؛ فطرةٌ فطر الله الناس عليها، حتى ان بعضَ الناس يُفَضِّلُ الموت في أرضه وداره على أن يُخرجَ منها، قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾[النساء:٦٦]، وقال ﷻ: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ ﴾[الأنفال:٣٠]، فقدَّم القتل والأسر في كلتا الآيتين –مع اختلاف الحالين– على الإخراج من الديار بيانًا لأهميته وأثره على النفس.

ومعلومٌ أن إخراج الناس من ديارهم أقوى محرِّضٍ لهم على القتال استبقاءً لأنفسهم وديارهم، وهو ما راح فرعون يلوح به، ليغريَ أقباط مصرَ بموسى حين جاءهم بالبينات، مستغلًا عاطفة

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٣٤٥٠.

حبهم لوطنهم؛ فقال: ﴿ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾[طه:٥٧]، وقال حاشيته وقد أسروا النجوى: ﴿إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾[طه:٦٣]، وقال بنو إسرائيل: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ﴾[البقرة:٢٤٧]؛ كجواب على سؤال نبيهم –الذي طلبوا منه أن يبعث لهم ملكًا يقاتلون معه في سبيل الله–: ﴿ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟﴾ [البقرة:٢٤٧]، فكيف إذا كان المُخرَجون مؤمنين، لا لشيءٍ؛ وبغيرِ حقٍّ إلا أن يقولوا ربنا الله؟!.

المطلب الرابع: عاقبة موالاة المؤمنين للكافرين في الدنيا والآخرة.

إن الله ﷻ قد رتَّب على موالاة الكافرين ضلالَ السبيل السويِّ في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[الممتحنة:١]، ثم فصّل عواقِبَها، فقال ﷻ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الممتحنة:٢، ٣].

والثقفُ هنا بمعنى الإدراك، وقوله ﷻ: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً..﴾، نصٌّ على أن العداوة وبسطَ اليد واللسان بالسوء يكون بعد أن يثقفوهم، مع أن العداء سابقٌ بإخراجِهم إياهم من ديارهم، فيكون هذا من باب التهييج وشدة التحذير[١].

إنَّ السعادة والخير والفلاح في طاعة الله ﷻ، وضِدَّ ذلك في معصيته والتنكر لأوامره ﷻ، فقد قال ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:١٢٣–١٢٤]، وإنَّ عاقبة موالاة الكافرين وخيمةٌ على صاحبها في الدنيا والآخرة؛ وإن ظنَّ أنه منتفعٌ منها، ظافرٌ بِها، قال ﷻ: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور:٦٣].

ومن أدلة القرآن على وجود العداوة بالفعل لدى عموم الكافرين؛ قولُه ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، والكلام لمتممه: عطية سالم، ٨/ ٨٣.

ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾[آل عمران:١١٨].

فقوله ﴿مِّن دُونِكُمۡ﴾: يشمل المشركين، والمنافقين، وأهل الكتاب، وقوله ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ﴾، أي: في الحاضر، وقوله ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾: لم يتوقف على الشرط المذكور في إن يثقفوكم، فهم أعداء، وقد بدت منهم البغضاء قولًا وفعلًا، وعلى هذا تكون الآية إعلانًا للمقاطعة بين المؤمنين، ومن دونهم(١).

إن عداوة المشركين والكافرين للذين آمنوا ظاهرةٌ وواضحةٌ أكَّد عليها القرآن بالقسم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾[المائدة:٨٢]، ويتولدُ عن هذه العداوة إن ظهر المشركون على المؤمنين؛ لوازمُها المحسوسة: كالضرب والتنكيل والإيذاء والقتل باليد والحرب، وكذلك السبُّ والشتم باللسان.

وقد حذّر الله ﷻ من طاعة الكافرين وموالاتهم لأنَّهم ما فتئوا يصدون المؤمنين عن دينهم، ويودون لو أنهم كفروا بالله ورسوله، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾[آل عمران:١٠٠]، ودافعُ ذلك هو الحسدُ كما قال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ﴾[البقرة:١٠٩]، وقال ﷻ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾[النساء:٨٩].

وأخبر الله ﷻ عن الكافرين أنهم يسعون في حرب المسلمين لثنيهم عن دينهم، فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾[البقرة:٢١٧]، وأنَّى لهم أن يستطيعوا؟، وقد أثبت الله ﷻ عجزهم، وقرر يأسهم من رد المؤمنين عن دينهم، فقال ﷻ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾[المائدة:٣].

ولا أجدُ مثلًا للذين يضربون بكل هذه النواهي البالغات، والزواجر الواعظات، والآيات البينات

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، والكلام لمتممه: عطية سالم، ٨/ ٨٣.

عرض الحائط؛ فيصرون على موالاة الذين كفروا إلا كما قال ربنا ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:٤١].

فقد ضرب الله ﷻ بهم المثل بشيء حقيرٍ وهو بيت العنكبوت، "إذ هي من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفًا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراءُ عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفًا إلى ضعفهم، ووهنًا إلى وهنهم؛ فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أنَّ أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل"[١].

وقد شهدَ التاريخ القديم والحديث أمثلةً كثيرةً لمن والى أعداء الله على المؤمنين واستنصر بهم، ثم كانت نهايتهم أن نبذهم الكفار، وشرَّدوهم، وأذلوهم، وقتلوا كثيرًا منهم، لأنهم يعلمون أن الذي يتولى أعداءه ضدَّ أبناء دينه وجلدته ويخونهم، لا يؤمن جانبه، ولا يرجى خيرٌ في صداقته، ومن هذه الأمثلة الحديثة؛ ما فعله الشريف حسين من تحالفٍ مع بريطانيا ضد خلافة الإسلام العليَّة؛ الدولة العثمانية، لقاء وعدٍ كاذبٍ بإقامة دولة للعرب، ولمَّا قضوا مصالحهم، بالكاد أمَّروه على دويلة صغيرة، وما خبر عملاء الاحتلال الصهيوني الذين باعوا أهلهم ووطنهم ودينهم بعرضٍ من الدنيا، وارتموا في أحضان الصهاينة عنك ببعيدٍ، فإنهم يعيشون في ذلةٍ وصغارٍ واحتقار في ما يُسمَّى بإسرائيل، وقد وُجِد بعضُهم مقتولًا طريدًا شريدًا بعد أن قضى أعداؤنا منه وطرًا، إلى غير ذلك من النماذج التي يحفل بها التاريخ الأسود لهؤلاء الذي والوا أعداء الله ﷻ[٢].

تلك هي العاقبةُ السيئةُ للموالين والخونة في الحياة الدنيا قبل الآخرة جزاءً وفاقًا، ولعذاب الآخرة أشدُّ وأشقُّ، ومالهم من الله من واقٍ، ولن تنفعهم حينئذٍ أرحامهم ولا قرابتهم ولا أموالهم ولا كبراؤهم ولا سادتهم الذين ركنوا إليهم، فاستحقوا أن تمسهم النار، ثم يوم القيامة يفصُل الله ﷻ بينهم، فيكفرُ بعضهم ببعضٍ، ويلعنُ بعضهم بعضًا، ومأواهم النار، كلمَّا دخلت فيها أمةٌ لعنت أختها، حتى إذا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٦٣١.

(٢) للاستزادة، انظر: أوراقٌ ذابلةٌ من حضارتنا، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، عبدالحليم عويس، ص:٩٠، وانظر أيضًا: الدولة العثمانية؛ عوامل النهوض، وأسباب السقوط، علي الصلابي، ص: ٤٥١.

ادّاركوا فيها جميعًا قالت الأخرى للأولى: ربنا هؤلاء أضلونا، فآتهم عذابًا ضِعفًا من النار؛ فيجيب الربُّ الكبيرُ المتعالُ: لكُلٍّ ضعفٍ ولكن لا تعلمون.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

المطلب الخامس: حرمةُ الاستغفارِ للمشركين.

أمر الله ﷻ المؤمنين بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام في تبرئه من قومه الذين أشركوا بالله ﷻ وعبدوا معه غيره، فقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[الممتحنة:٤]، ثم استثنى من هذه الأمر بالاقتداء؛ وعدَ إبراهيم عليه السلام لأبيه أن يستغفر له، فقال ﷻ: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾.

وأخرج الطبريُّ عن عمرو بن دينار، أن النبي ﷺ قال: **(استغفر إبراهيم عليه السلام لأبيه وهو مشرك، فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى ينهاني عنه ربّي!)** فقال أصحابه: لنستغفرن لآبائنا كما استغفر النبي ﷺ لعمه! فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ إلى قوله: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[التوبة:١١٤] (١).

قال ابن حجر: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ..﴾ أي: "ما ينبغي لهم ذلك، وهو خبرٌ بمعنى النهي"(٢).

ولما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ، جاءه رسول الله ﷺ؛ فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب: **(يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله)** فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: **(أما والله لأستغفرن لك**

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٤/ ٥١١.

(٢) فتح الباري، ٨/ ٥٠٨.

ما لم أنه عنك)، فأنزل الله ﷻ فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [التوبة:١١٣][1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي)**[2].

قال النووي: "وفيه النهي عن الاستغفار للكفار"[3].

وسبب النهي: أنَّ الاستغفار للمشركين في هذه الحال غلطٌ غير مفيد، فلا يليق بالنبي ﷺ والمؤمنين، لأنَّ المشركين إذا ماتوا على الشرك، أو عُلم أنهم يموتون عليه؛ فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين، وأيضا فإن النبي ﷺ والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله ﷻ، ويعادوا من عاداه الله ﷻ، والاستغفارُ منهم لمن تبين أنه من أصحاب النارِ منافٍ لذلك، مناقضٌ له[4].

وأمَّا ما كان من وعد إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم:٤٧]؛ فقد وفى به، كما قال ﷻ عنه: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾[الشعراء:٨٦]، وقال ﷻ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾[إبراهيم:٤١].

ولمَّا بين الله ﷻ له أنَّ أباه عدو لله تبرأ منه، ولم يستغفر له بعد ذلك[5]،كما قال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾[التوبة:١١٤].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الجنائز، إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله، ٢/ ٩٥، رقم الحديث: ١٣٦٠.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الجنائز، استئذان النبي ﷺ ربه ﷻ في زيارة قبر أمه، ٢/ ٦٧١، رقم الحديث: ١٠٥.

(٣) شرح مسلم ٧/ ٤٥.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٣٥٣.

(٥) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٣/ ٤٢٨.

وبهذا تدركُ أيها القارئ الكريم يقينًا حرمةَ الاستغفارِ للمشركين، والدعاءِ لهم بالرحمة بعد مماتهم، وأنَّ ذلك مما تتطلبه الموالاة لله ولرسوله وللمؤمنين، وليس الدعاء للكفار بالهداية مما يشمله النهي عن الاستغفار لهم، إذ إنَّهُ قد ثبت أنَّ النبي ﷺ دعا لبعض الكفار بالهداية، كما مرَّ معك في بداية المطلب.

المبحث الثاني

النهي عن موالاة اليهود

قد مرَّ بنا في المناسبة بين أول السور وآخرها أن الآية الأخيرة يمكن أن تُحمَل على العموم فتكون مؤكدةً للمعنى الذي افتتحت السورة به، أو يمكن أن تُحمل على الخصوص، فتكون مؤسسة لمعنى جديد[1]، وهو النهي عن موالاة اليهود، وقد بينتُ هذه المسألة في مطلبين اثنين، كما يأتي:

المطلب الأول: النصوص الواردة في تحريم الموالاة لليهود.

لما نهى الله ﷻ عن موالاة المشركين، أتبع ذلك بالنهي عن موالاة اليهود والمنافقين، فقال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾[الممتحنة:١٣]، ومعلومٌ أن المغضوب عليهم؛ هم اليهود، كما صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال في قوله ﷻ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾[الفاتحة:٧] **(الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ: الْيَهُودُ، وَالضَّالُّونَ: النَّصَارَى)**[2].

إن الله ﷻ قد نهانا أن نتخذ اليهود والنصارى أولياء، وأن من تولاهم من المؤمنين فإنه منهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[المائدة:٥١]، ونبَّه على أن موالاتهم موجبةٌ لسخط الله ﷻ، والخلود في عذابه، وأن متوليهم لو كان مؤمنًا ما تولاهم[3]، ولا شك أن الآية نزلت في منافقٍ كان يوالي يهودًا أو نصارى خوفًا على نفسه من دوائر الدهر، لأن الآية التي بعد هذه تدلّ على ذلك، وذلك قوله ﷻ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ..﴾ **الآية،** [المائدة:٥٢].

وأما قوله: ﴿ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ ﴾، فإنه عنى بذلك: أن بعض اليهود أنصارُ بعضهم على المؤمنين، ويدٌ واحدة على جميعهم، وأن النصارى كذلك، بعضهم أنصارُ بعض على من خالف دينهم وملتهم، معرِّفًا بذلك عباده المؤمنين: أنّ من كان لهم أو لبعضهم وليًّا، فإنما هو وليهُّم على

---

(١) انظر: المناسبة بين أول السورة وآخرها، ص: ١٨.

(٢) صحيح ابن حبان، ابن حبان، التاريخ، بدء الخالق، ذكر افتراق اليهود والنصارى فرقًا مختلفة، ١٤/ ١٤٠، رقم الحديث: ٦٢٤٧، وصححه الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٧/ ٧٨٥.

(٣) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ١/ ٤١٢.

من خالف ملتهم ودينهم من المؤمنين، كما اليهود والنصارى لهم حَرْب، فقال ﷻ للمؤمنين: فكونوا أنتم أيضًا بعضكم أولياء بعض، ولليهوديّ والنصراني حربًا كما هم لكم حرب، وبعضهم لبعض أولياء، لأن من والاهم فقد أظهر لأهل الإيمان الحربَ، ومنهم البراءة، وأبان قطع وَلايتهم(١).

وقال ﷻ:﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٨٠، ٨١]، لأنَّ اليهود هم أشد الناس عداوةً للذين آمنوا، يودون عنتهم، ويتمنون ضلالهم وغوايتهم، وقد أخبر الله ﷻ بحقيقة هذه العداوة وكشف عن درجتها ومستواها، وبين أسبابها الدينية والنفسية، فقال ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[المائدة:٨٢].

قال ابن كثير: "ما ذاك إلا لأن كفر اليهود عناد وجحود ومباهتة للحق، وغمط للناس وتنقص بحملة العلم، ولهذا قتلوا كثيرًا من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وسحروه، وألّبوا عليه أشباههم من المشركين عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة"(٢).

إن اليهود قومٌ بهتٌ لا يرقبون في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمَّةً؛ حالُهم كحالِ المشركين الذين أمرنا الله ﷻ أن نعاديَهم وأن نقطع الولاء منهم، وقد حذَّرنا الله ﷻ من موالاتهم جميعًا، ونفى أيَّ صلةٍ بين الله ﷻ ودينه من ناحية، وبين المؤمنين من ناحية أخرى؛ إذا ارتدوا باتخاذهم الكافرين أولياء، فقال ﷻ: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ ﴾[آل عمران:٢٨].

فهذه الآية الكريمة فيها بيان وإيضاحٌ لكل الآيات القاضية بمنع موالاة الكفار مطلقًا؛ لأن محل ذلك في حالة الاختيار، وأما عند الخوف والتقية، فيرخص في موالاتهم، بقدر المداراة التي يُكفُّ بها شرهم، ويشترط في ذلك سلامة الباطن من تلك الموالاة، وقد قال الشاعر:

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١٠/ ٣٩٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ١٦٦.

ومن يأتي الأمورَ على اضطرارٍ *** فليس كمثلِ آتيها اختيارًا

ويُفهم من ظواهر هذه الآيات أن من تولى الكفارَ عمدًا واختيارًا، ورغبةً فيهم أنه كافرٌ مثلُهم[1].

وهذا الذي تقدَّم يشمل مطلق التولي لليهود وغيرهم، فكيف إذا كان اليهود محتلِّين ومغتصبين لأرض فلسطين، أو لغيرها من بلاد المسلمين، وكيف إذا قتَّلوا المسلمين الآمنين، من شيوخ ونساء واطفال، وكيف إذا دنّسوا المسجد الأقصى المبارك، وسعوا في تهويده ؟؟!.

إن موالاة اليهود تزداد إثمًا ويعظم جرمها؛ إذا كانوا محتلين لأرض فلسطين، فقد أخرجوا الناس من ديارهم، وهجروهم قسرًا، وقاموا بمئات عمليّات الإبادة والقتل الوحشية، وأفسدوا في الأرض وعاثوا فيها خرابًا، فهم أهل الفتنة والفساد كما قال الله ﷻ: ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارًا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[المائدة:٦٤].

وقد أذن الله ﷻ للمهاجرين الأوائل في صدر الإسلام بالجهاد والقتال دفاعًا عن أرضهم ودورهم التي أخرجوا منها بغير حقٍّ إلا ان يقولوا ربنا الله، فقال ﷻ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ ﴾[الحج:٣٩، ٤٠]، وقد تقدَّم أن من أسباب القتال وقطعِ الموالاة: الإخراجُ من الديار[2].

المطلب الثاني: حكم التعاون مع العدو، ونقل الأخبار إليهم.

إن الله ﷻ أخبرنا أن اليهود قد ضُربت عليهم الذلة، إلَّا بحبلٍ منه ﷻ، وحبلٍ من الناس، كما قال: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾[آل عمران:١١٢].

والمعنى: "أنهم لا يسلمون من الذلة إلا إذا تلبسوا بعهد من الله، أي ذمة الإسلام، أو إذا استنصروا بقبائلَ أولي بأس شديد، وأما هم في أنفسهم فلا نصر لهم"[3].

وذلة اليهود دائمةٌ؛ فهم لا يتسلطون على المسلمين، وإن تسلطوا؛ فبإخوانهم المنافقين، لأنهم

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ١/ ٤١٣.

(٢) انظر: (مطلب الإخراج من الديار) من هذه الدراسة، ص:٢٧.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤/ ٥٦.

أجبن الأمم في القتال، وإن كانت لهم قوةٌ؛ فليس بشجاعتهم، وإنما لهوان غيرهم، وضعفه[1].

إن نصر النبي ﷺ على اليهود تأخّر بسبب المنافقين على قلتهم، واليوم يتأخرُ النصرُ أكثر؛ لأن المنافقين اكثر من اليهود، وحمية المنافقين لليهود؛ أكثر من حميتهم للإسلام وأهله، وأهدافهم متفقةٌ مع أهداف اليهود بحكم إخوتهم في الكفر: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ ﴾[الحشر:١١]، وهم أسرع الناس توافقًا في شدائد الأمة مع اليهود، قال ﷻ: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ﴾[المائدة:٥٢].

وقد نهى ربنا ﷻ نبيّه ﷺ أن يحزنه اندفاع المنافقين اتجاه اليهود بالنصرة والتأييد[2]، فقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ...﴾[المائدة:٤١]، وقال ﷻ أيضًا: ﴿ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[آل عمران:١٧٦].

إن الولاء للصهاينة الأعداء يبدأ بالميل القلبي تجاههم، والحب لهم، وينحدر في دركات الولاء حتى يصل إلى أخسِّ مستوياته بالنصرة العسكرية، بالرجال والمال، وهذا هو جوهر التنسيق الأمني الذي ينعته بعضُ أكابرِ مجرميها: بالمُقدَّس.

إن قطع الموالاة من هذا العدو المحتل واجبةٌ، وقتاله في سبيل تحرير أرض فلسطين وتطهيرها أوجب، وعليه؛ فلا تجوز موالاة الصهاينة اليهود بأي شكل من الأشكال.

إن التنسيقَ الأمنيَّ والولاءَ العسكريَّ مع الصهاينة المحتلين لأرض فلسطين، أو التطبيع معهم، وإنشاء معاهدات السلام التي تتضمن اعترافًا بهم على أرض فلسطين، وتثبيت كيانهم في المنطقة؛ خيانةٌ كبرى لله ولرسوله وللمؤمنين، لأن فلسطين أرضُ وقفٍ إسلاميٍّ، أوقفها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ؓ بعد أن فتحها.

وإذا كانت فلسطين أرضَ وقفٍ، وكان الجهاد من أجل استنقاذها واجبًا، فإنه لا يجوز بأي

---

(١) انظر: أسطر من النقل والعقل والفكر، الطريفي، ص: ٣٥.

(٢) انظر: التنسيق الأمني في ميزان الشريعة، د. يونس الأسطل، ص: ١٥.

حال من الأحوال خذلان أهلها، ولا مظاهرة الصهاينة المحتلين عليهم بالنصرة بالمال والسلاح، ولا بيع الأراضي لهم فيما يُعرف اليوم بتسريب العقارات، ولا إمدادهم بالمعلومات، ولا التضييق على المجاهدين وكبح جماحهم وتغييبهم في الزنازين.

إن التنسيق الأمني، والتعاون العسكري، في صورته القائمة انتهاك لحرماتٍ لا تحصى كثرة؛ فإنه؛ فضلًا عن المتاجرة بالثوابت، والإقرار بشرعية الاحتلال، يمثل عدوانًا على المقاصد العامة الخمسة للشريعة الإسلامية؛ وشرائع الله الغابرة كذلك، فهو عدوان على الدين بالولاء والبراء الذي هو من صميم العقيدة، وانتهاكها ردةٌ لو كانوا يطيعونهم في بعض الأمر، فكيف إذا كانوا يسارعون فيهم، فيسارعون بذلك في الكفر؟!، وغير ذلك من صور إهدار الدين كثير.

وهو عدوان على النفوس بالمشاركة في الاغتيال والاعتقال والتعذيب، والمطاردة، والحرمان من الأمن الاجتماعي.

وهو عدوان كذلك على العقول بمصادرة الحريات، لاسيما حرية الرأي، والحريات السياسية والثقافية، وبالسعي لتهيئة الناس للقبول بالتطبيع مع الاحتلال؛ عبر ثقافة الانحلال.

وأما العدوان على الأعراض والأنساب فحدث ولا حرج، حين يكون تقليل الخطر الديمغرافي من أولويات الصهاينة، ومن أجله كان لابد من نشر الفواحش والمخدرات، والإسقاط الأمني، وما شابه ذلك.

ويبقى العدوان على المال، ومثاله: ربط اقتصادنا بالاقتصاد الصهيوني، والحيلولة دون بناء اقتصاد الصمود، وقد وصل الحد إلى التحكم اليومي في حاجاتنا، ولقمة عيشنا، والكهرباء، وغير ذلك من صور الاحتلال الاقتصادي[١].

---

(١) انظر: التنسيق الأمني في ميزان الشريعة، د. يونس الأسطل، ص: ١٦-١٨.

المبحث الثالث

توجيهات عقديّة في توحيد الله ﷻ

إن العامل الأول، والركيزة الأساسية التي يقوم عليها نظام المجتمع؛ هي العقيدة، فالإسلام يبدأ بإصلاح الفرد أولًا، حيث يغرس فيه عقيدته وإيمانه، ثم يربي خلقه وسلوكه، وهكذا حتى يقيم مجتمعًا مؤمنًا قويًّا، وقد جاءت سورة الممتحنة ببعض التوجيهات العقدية في هذا السياق، وقد بيَّنْتُها في مطلبين اثنين كما يأتي:

المطلب الأول: اعتقادُ البعث يوم القيامة، والمصيرُ إلى الله ﷻ.

ورد ذكر الإيمان بهذا المعتقد في سورة الممتحنة، على لسان الصالحين من عباد الله في قوله ﷻ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤]، أي: إليك مصيرنا ومرجعنا يوم تبعثنا من قبورنا، وتحشرنا في القيامة إلى موقف العَرْض(١).

إن اعتقادَ البعث يوم القيامة، والمصيرَ إلى الله ﷻ؛ مسألة كبرى بعد الإيمان بالله، وقضية عظمى بعد توحيده ﷻ، تكفل بها الوحي، وبرهنت عليه الكتب، وبلَّغتها الرسل؛ إنها قضية البعث والنشور، والخروجِ من الأجداث والقبور، والوقوفِ بين يدي الكبير المتعال للحساب والجزاء، وعرض الأعمال، ثم المصيرِ؛ إما إلى الجنة، وإما إلى النار، قال ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[آل عمران:١٨٥].

وفي هذا المطلب ثلاثة فروعٍ كما يأتي:

أولًا: معنى البعث لغةً واصطلاحًا.

أ. **لغة:** (بَعَثَ) الْبَاءُ وَالْعَيْنُ وَالثَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِثَارَةُ، وَيُقَالُ: بَعَثْتُ النَّاقَةَ: إِذَا أَثَرْتُهَا(٢)، "والبعث فِي كَلَام الْعَرَب على وَجْهَيْن: أَحدهمَا الْإِرْسَال؛ كَقَوْل الله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ﴾[الأعراف:١٠٣]، والبَعْث أَيْضا: الْإِحْيَاء من الله للموتى، وَمِنْه قَوْله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[البقرة:٥٦]"(٣).

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣١٩.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ٢٦٦.

(٣) تهذيب اللغة، الأزهري، ٢/ ٢٠١.

ب. وفي اصطلاح الشرع: "هو: الإحياء والنشر من الْقُبُور للحساب والجزاء"[1]، وهذا ما تشير إليه كثير من الآيات الواردة في كتاب الله ﷻ، كما قال الله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦، ٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الإنفطار:٤]، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[الأنعام:٣٦].

ت. العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي:

عندما نقارن بين المعنى الشرعي لكلمة البعث والمعنى اللغوي لها؛ نجد ترابطًا ظاهرًا، وذلك أن من معاني البعث في اللغة الإثارة لما كان ساكناً من قبل، وكذا الإرسال كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾[النحل:٣٦]، وهذا ما جاء في كلمة البعث مرادًا بها معناها الشرعي الذي هو إرسال الحياة إلى الأموات وإثارتها من جديد، لتتهيأ لما يراد منها من الانطلاقة إلى الموقف للحساب[2].

ثانيًا: الأدلة على البعث، وحكم الإيمان به.

اهتم القرآن الكريم بذكر البعث اهتمامًا بالغًا، حيث يتجلى ذلك في كثرة الأدلة عليه و في تنوعها في الرد على المنكرين له.

إن الله ﷻ قد أمر نبيَّه ﷺ أن يقسم بربه ﷻ على أن البعث حق لا ريب فيه، وأنه لابد من وقوعه، ومحاسبة أولئك المكذبين الجاحدين له، وأن ذلك لا يعجز الله تعالى؛ بل هو عليه يسير، فقال ﷻ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[التغابن:٧]، وقال ﷻ: حكاية عن المكذبين الجاحدين: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[سبأ:٣].

وتارةً ينبه ﷻ بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة؛ والذي أنشأ عباده النشأة الأولى قادرٌ على أن

---

(١) انظر: الكليات، الكفوي، ص: ٢٤٤.

(٢) انظر: الحياة الآخرة، غالب العواجي، ١/ ٦١.

يخلق مثلهم وينشئهم مرة أخرى، ومعلومٌ أن النشأة الأخرى أهون عليه ﷻ من الأولى، قال ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الروم:٢٧].

وقد بيّن ﷻ أن خلق السموات والأرض، وإحياءَ الأرض بعد موتها دليلٌ على إحياء الموتى وبعثهم من قبورهم؛ فقال ﷻ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [غافر:٥٧]، وقال ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت:٣٩].

وقد أخبر ربنا ﷻ عن بعض ما وقع من مشاهد البعث الحسي في الدنيا، وانها أدلةٌ دامغة، وآيات بينة واضحة على حصول البعث، منها –على سبيل المثال لا الحصر– ما حكاه ربنا ﷻ عن خليله إبراهيم عليه السلام حين طلب أن يريه إحياء الموتى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: **(قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي، فقوله لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولدًا)**[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما بين النفختين أربعون)** قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، **(ثم ينزل الله من السماء ماءً فينبتون، كما ينبت البقل) قال: (وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى، إلا**

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن، باب: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾ ، ٦/ ١٩، رقم الحديث: ٤٤٨٢.

عظمًا واحدًا، وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)[١].

وبعد هذه يتقرر بما لا يدعُ مجالًا للشك؛ وجوبَ الإيمان بالبعث والنشور، والمصير إلى الله ﷻ، وأن إنكاره يناقض الإيمان، وينافي تصديق القلب وإقرار اللسان، ومنكرُ البعث بكل صوره وأمثلته[٢] كافرٌ خارجٌ من الملة، لأنه أنكر معلومًا من الدين بالضرورة.

ثالثًا: الآثار المترتبة على الإيمان بالبعث والنشور، والمصير إلى الله ﷻ.

إن للإيمان بالبعث والنشور، والمصير إليه ﷻ أثرًا عظيمًا في حياة الناس أفرادًا وجماعات؛ إذ تختلف حياة من يؤمن بالبعث عن ذلك الذي لا يؤمن بأن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة، كما تختلف حالة المجتمعات التي يسود بين أفرادها الإيمان بالآخرة عن تلك المجتمعات التي يؤمن أفرادها بأن الدنيا هي نهاية المطاف.

وللإيمان بالحياة الآخرة والبعث والنشور أثرٌ أيضًا في سلوك الإنسان وتصرفاته؛ فمن يؤمن بأن هناك حياة أخرى، تجده يعيش مطمئنًا راضيًا يتمتع بالسكينة والقناعة وأمثالها من المشاعر التي هي أساس الحياة الإنسانية؛ كما عبر عن ذلك المصطفى ﷺ فقال: **(عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرًا له)**[٣].

أما الأثر الأخلاقي للإيمان باليوم الآخر واعتقاد البعث النشور؛ فيتمثل في الشعور الدائم برقابة الله ﷻ، فالذي يؤمن بأن الله يعلم ما توسوس به نفس الإنسان، وأن الله مُحصٍ عليه كل أعماله –صغيرة كانت أم كبيرة–، ومحاسبه على ما يقدم، ستقل جرأته على الإقدام على غير ما يرضي الله من أقوال أو أفعال.

وقد اتخذ القرآن الكريم من التذكير بهذه الحقائق وسيلة إلى الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، والقيم الإنسانية، والتمسك بها، قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة:٢٢٣].

وهذا تحذيرٌ من الله ﷻ لعبادَه: أن يأتوا شيئًا مما نهاهم عنه من معاصيه، وتخويفٌ لهم عقابَه عند لقائه، وأمرٌ لنبيه ﷺ أن يبشر من عباده، بالفوز يوم القيامة وبكرامة الآخرة وبالخلود في الجنة،

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الفتن وأشراط الساعة، ما بين النفختين، ٤/ ٢٢٧١، رقم الحديث: ٢٩٥٥.

(٢) ينظر للاستزادة: الشفا، القاضي عياض، ٢/ ١٠٦٧، مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزية، ٢/ ٣٥.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الزهد والرقائق، المؤمن أمره كله خير، ٤/ ٢٢٩٥، رقم الحديث: ٢٩٩٩.

من كان منهم محسنًا مؤمنًا بكتبه ورسله، وبلقائه، مصدِّقًا إيمانَه قولا بعمله ما أمره به ربُّه، وافترض عليه من فرائضه فيما ألزمه من حقوقه، وبتجنُّبه ما أمره بتجنُّبه من معاصيه(١).

المطلب الثاني: إثباتُ بعضِ أسماء الله ﷻ وصفاته، في ضوء سورة الممتحنة.

إن من أعظم ما يعين العبد على معرفة الله ﷻ؛ معرفة أسمائه وصفاته ﷻ، إذ هو ﷻ لا تراه في الدنيا العيون، ولا تُحيط به الأوهام والظنون، ولا أحدٌ من عباده يقدرُ على إحصاء الثناء عليه، أو وصفه كما ينبغي له، بل هو كما أثنى على نفسه، كما قال النبي ﷺ: **(لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)**(٢).

فكان باب الأسماء والصفات أوسع الأبواب في السير إليه ﷻ، والعلم بها سرُّ العبودية، وأصل الدين، وهو من أعظم روافد الإيمان، والطريق إلى السعادة في الدارين، وبها تُنال محبة الله.

وقد وردت في سورة الممتحنة عدة أسماء لله ﷻ، حاولتُ ذكرها وتبيينَ معانيها، والآثار العملية المترتبة عليها، في إحدى عشرة نقطة كما يأتي:

أولًا: الله ﷻ.

هو الذي يَألَهه كل شيء، ويعبده كل خلْقٍ(٣)، وهو المألوه المعبود، ذو الألوهية، والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال(٤).

واسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه.

وقد ورد ذِكرُ هذا الاسم في سورة الممتحنة ست مراتٍ؛ أذكر منها على سبيل المثال، قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة:٧]

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله ﷻ سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠]، ويقال: الرحمن والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم من

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٤/ ٤١٩.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الصلاة، مايقال في الركوع والسجود، ٢/ ٥١، رقم الحديث: ١٠٢٤.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١/ ١٢٢.

(٤) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص: ١٦٤.

أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

فعُلِمَ أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله، واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا، تؤلهه الخلائق محبة وتعظيمًا وخضوعًا، وفزعًا إليه في الحوائج والنوائب، وذلك مستلزمٌ لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمِّنَيْنِ لكمال المُلك والحَمد، وإلهيتُه وربوبيتُه ورحمانيتُه وملكُه مستلزمٌ لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحيٍّ، ولا سميعٍ، ولا بصيرٍ، ولا قادرٍ، ولا متكلمٍ، ولا فعالٍ لما يريدُ، ولا حكيمٌ في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال؛ أخص باسم (الله)، وصفات الفعل والقدرة، والتفرد بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوة، وتدبير أمر الخليقة؛ أخص باسم (الرب)، وصفات الإحسان، والجود والبر، والحنان والمنة، والرأفة واللطف؛ أخص باسم (الرحمن)[1].

وحكى ابن جني[2] أن سيبويه رُئي بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: خيرًا، وذكر كرامةً عظيمةً، فقيل له: بم؟ فقال: لقولِي: إن اسم اللهَ أعرفُ المعارف[3].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه البنود الثلاثة:

1. الإيمان بأن الله ﷻ واحدٌ في ألوهيته لا شريك له، وهو المستحق للعبادة ولا نِدَّ له؛ قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[الزمر:١١].
2. الإيمان بأن الله ﷻ له صفاتُ الجمال والجلال والكمال، قال ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٧٨].
3. سؤال الله ﷻ ودعاؤه ورجاؤه باسمه العظيم (الله)، وكذلك بأسمائه الحسنى كلها؛ قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠].

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ١/ ٥٦.

(٢) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور؛ كان إماماً في علم العربية، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الفارسي، وكان أبوه جني مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الأزدي الموصلي، ت ٣٩٢ هـ. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣/ ٢٤٦.

(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، الحطَّاب المالكي، ١/ ١١.

ثانيًا: الرب ﷻ.

الراء والباء أصلٌ يدلُّ على إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب: المالك، والخالق، والمُصلح[1]، والله ﷻ هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، وهذه تربية عامةٌ، وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم[2]، وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة، قال ﷻ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٤، ٥].

"وربّنا ﷻ؛ السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر "[3].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذان البندان:

١. الإيمان بأن الله ﷻ واحدٌ في ربوبيته لا شريك له، قال ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[الأنعام:١٦٤].

٢. الإيمان بأن الله ﷻ له صفاتُ الفعل والقُدرة، وهو متفردٌ بالضر والنفع، والعطاء والمنع، ومشيئته ﷻ نافذةٌ، كما أنه ﷻ كامل القوة، ومُدبر أمر الخليقة، وكل هذه من لوازم الربوبية، قال ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢].

ثالثًا: البصير.

البصيرُ الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة، والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار، وعروقها وجميع النباتات على اختلاف أنواعها، وصغرها، ودقتها، ويرى نياط عروق النملة، والنحلة، والبعوضة، وأصغر من ذلك، فسبحان من تحدثت العقول في عظمته، وسعة متعلقات صفاته، وكمال عظمته، ولطفه، وخبره بالغيب، والشهادة والحاضر، والغائب، ويرى خيانات

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٣٨١.

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص: ١٩٩.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١/ ١٤٢.

الأعين، وتقلبات الأجفان، وحركات الجنان[1]، قال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الممتحنة:٣].

أي: والله بأعمالكم أيها الناس ذو علم وبصر، لا يخفى عليه منها شيء، هو بجميعها محيط، وهو مجازيكم بها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشرّ، فاتقوا الله في أنفُسكم واحذروه[2].

قال ابن القيّم:

وَهُوَ البَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السْ *** سَوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَّانِ

وَيَرَى مَجَارِي القُوتِ فِي أَعْضَائِهَا *** وَيَرَى عُرُوقَ بَيَاضِهَا بِعِيَانِ

وَيَرَى خِيَانَاتِ العُيُونِ بِلَحْظِهَا *** وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأَجْفَانِ[3]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه البنود الثلاثة:

١. إثبات صفة البَصَر لله؛ لأنَّه وصف نفسه بذلك، وهو أعلم بنفسِه، قال ﷻ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[الإسراء:١].

٢. أن الله ﷻ بصيرٌ بأحوال عباده، خبير بمَن يستحقُّ الهداية منهم ممَّن لا يستحقُّها، بصير بمن يصلح حاله بالغِنَى والمال وبمن يفسد حاله بذلك؛ قال ﷻ: ﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾[الشورى: ٢٧] [4].

٣. إذا علِمْنا أنَّ الله بصيرٌ، حملَنا ذلك على حِفْظ الجوارح وخطرات القلوب عن كلِّ ما لا يُرْضِي الله، وحملَنا أيضًا على خشْيته في السِّرِّ والعلانية، في الغَيب والشهادة؛ لأنَّه يرانا على كلِّ حال، فكيف نَعْصيه مع عِلْمنا باطِّلاعه عليْنا؟! قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[الشعراء:٢١٨، ٢١٩]، ومن علم أنَّه يراه أحسن عملَه وعبادته، كما قال النبي ﷺ عن الإحسان: **(أن تعبُد الله كأنَّك تراه، فإنْ لَم تكُن تراه فإنَّه يراك)**[5].

قال النَّووي: "هذا من جوامع الكلِم الَّتي أُوتيها ﷺ لأنَّا لو قدرنا أنَّ أحدنا قام في عبادة وهو

---

(١) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي ص: ١٧٤.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣١٦.

(٣) نونية ابن القيم: الكافية الشافية، ابن القيم، ص: ٢٠٤.

(٤) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، عبدالله النجدي، ص: ٢٣٨.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، الإيمان، سؤال جبريل عليه السلام النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، ١/ ١٩، رقم الحديث: ٥٠.

يُعايِن ربَّه ﷻ؛ لَم يترك شيئًا ممَّا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحُسْن السَّمت، واجتماعه بظاهره وباطنه، وعلى الاعتِناء بتتْميمها على أحسن وجوهِها إلاَّ أتى به"[1].

رابعًا: العزيز.

قال القرطبي: "العزيز معناه المنيع، الذي لا يُنال، ولا يُغالَب"[2]، وقال ابن كثير: "العزيز: الذي عز كل شيء فقهره، وغلب الأشياء، فلا ينال جنابه لعزته، وعظمته، وجبروته، وكبريائه"[3].

وقد ورد ذكرُ اسم العزيز مقترنًا بالحكيم في سورة الممتحنة في قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٥].

وَذكر أهل التَّفْسِير أَن الْعَزِيز فِي الْقُرْآن على ثَلَاثَة أوجه:

أَحدهَا: الْقوي الْمُمْتَنع، وَمِنْه قَوْله ﷻ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[الفتح:٧]، وقوله ﷻ: ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[المنافقون:٨]، وهو المُراد في آية السورة.

وَالثَّانِي: الْعَظِيم، وَمِنْه قَوْله ﷻ: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾[هود:٩١]، وقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[النمل:٣٤].

وَالثَّالِث: الشَّدِيد، وَمِنْه قَوْله ﷻ: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[إبراهيم:٢٠]، وقوله ﷻ: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[التوبة:١٢٩]، أَي: شَدِيدٌ أَو شاق[4].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه البنود الأربعة:

١. إثبات صفة العزة لله ﷻ، والإيمان بأن من أسمائه: العزيز الذي لا يُغلب، ولا يُقهر، ولا يُمانَع، ولا يرد أمره، والمتأمل في قصص الأنبياء والرسل يجد ذلك واضحًا جليًا، فمن ذلك قصة موسى عليه السلام، عندما حاول فرعون أن يمنع خروج هذا الصبي بأن أمر بقتل جميع الذكور من بني إسرائيل، لأنه علم أنه سيخرج فيهم نبي ينتزع منه ملكه، ولكن يأبى الله العزيز إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، فولد موسى عليه السلام، وتربى في قصر فرعون، وتحت رعايته، ولما حاول

---

(١) شرح النووي على مسلم، ١/ ١٥٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ٢/ ١٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٨/ ٨٠.

(٤) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ابن الجوزي، ص: ٤٣٦.

الأخير قتْلَهُ أغرقه الله ومن معه أجمعين[١].

٢. أن العزيز في الدنيا والآخرة هو من أعزه الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦]، فمن أراد العزة، فليطلبها من رب العزة، قال ﷻ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]، أي: من أحب أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة فليلزم طاعة الله، فإنه يحصل له مقصوده، لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعًا.

وقد ذم الله أقوامًا طلبوا العزة من غيره سبحانه، فوالوا أعداء الله من الكافرين، ظنًا منهم أن هذا هو سبيل العزة، وطريقها، قال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء:١٣٩]، ومع عظم الطاعة تزداد العزة، فأعز الناس هم الأنبياء، ثم الذين يلونهم من المؤمنين المتبعين لهم[٢]، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

٣. سؤال الله ﷻ، والتضرع إليه بهذا الاسم العزيز، فعن ابن عباس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يقول: **(اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت، أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون)**[٣].

٤. التواضع للمؤمنين، فمن عرف أن العزة لله وحده؛ ذلَّ لعباده المؤمنين، وقد وصف الله ﷻ عباده الذين يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[المائدة:٥٤]، وقال نبي الله ﷺ: **(ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفوٍ إلا عزًّا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)**[٤].

---

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، عبدالله النجدي، ص: ١٣٩.

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، عبدالله النجدي، ص: ١٣٩.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الدعوات، من دعاء النبي ﷺ، ٨/ ٨٠، رقم الحديث: ٦٩٩٨.

(٤) المصدر السابق، الآداب، التواضع، ٨/ ٢١، رقم الحديث: ٦٦٨٤.

خامسًا: الحكيم.

ورد هذا الاسم العظيم في سورة الممتحنة مقترنًا باسم العزيز تارةً، قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٥]، وتارة أخرى باسم العليم، قال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الممتحنة:١٠]، أي: الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وحكمه(١).

والحكيم: هو الموصوف بكمال الحكمة وبكمال الحكم بين المخلوقات، وحكمته نوعان(٢):

أحدهما: الحكمة في خلقه وشرعه وأمره؛ فإنه خلق الخلق بالحق ومشتملًا على الحق، وشرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل ليعرفه العباد ويعبدوه.

والثاني: أنّ له ﷻ الحكم في الدنيا والآخرة، وهذا يتناول الأحكام الثلاثة: الكونية والقدرية، والشرعية، والثواب والعقاب، فله الحكم كله فيها لا شريك له في حكمه، كما لا شريك له في عبادته، فقد قال ﷻ: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[الكهف:٢٦].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه البنود الخمسة:

١. أن الأحكام الشرعية في الإسلام من لدن حكيم خبير، وما جاءت إلا لإسعاد البشرية، فليس هناك أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين، قال ﷻ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ [التين: ٨] (٣).

٢. أن الله حكيم في أقداره، فما يقدره الله تعالى على العباد من خير أو شر إنما هو لحكمة بالغة، وتدبير حكيم، قال ﷻ: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾[القمر:٥].

قال ابن القيم: "وأنه له الحكمة البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر، وطاعة ومعصية، وحكمة باهرة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها"(٤).

٣. أن كلام الله حكيم ومحكم، وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو كلام أحكم الحاكمين ورب العالمين، وقد وصف الله القرآن العظيم، وهو كلامه المنزل على نبيه محمد ﷺ بأنه حكيم

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٨٨.

(٢) انظر: هنيئًا لمن عرف ربه، أسماء الجلال، خالد أبو شادي، ص:٢٠٠.

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، عبدالله النجدي، ص: ٢٥١ – بتصرف.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١/ ٤٠٩.

ومحكم في ثمان آيات منها قوله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، فالقرآن حكيم في أسلوبه، حكيم في تشريعاته، حكيم في أمره ونهيه، حكيم في قصصه وأخباره، حكيم في كل ما اشتمل عليه[١].

٤. خلق الله ﷻ محكم، لا خلل فيه ولا قصور، قال ﷻ: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال ﷻ: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

٥. أن الله سبحانه خلق الخلق لحكمة عظيمة، وهي عبادته ﷻ، قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].

سادسًا: الغني.

"هُوَ الذِي اسْتَغْنَى عَن الخَلْقِ، وَعَنْ نُصْرَتِهِمْ وَتَأْيِيْدِهِم لِمُلْكِهِ، فليْسَتُ بِهِ حَاجَة إلَيْهم، وَهُمْ إلَيْهِ فُقَرَاءُ مُحْتَاجُونَ كَمَا وَصَفَ نفْسَه"[٢]، فقال ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨].

وقد ورد ذكر اسم الغني في سورة الممتحنة مقترنًا باسم الحميد، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾[الممتحنة:٦].

أيْ: ومن يتول عما أمره الله ﷻ به وندبه إليه منكم ومن غيركم، فأعرض عنه وأدبر مستكبرًا، ووالى أعداء الله، وألقى إليهم بالمودّة، فإن الله هو الغنيّ عن إيمانه به، وطاعته إياه، وعن جميع خلقه، الحميد عند أهل المعرفة بأياديه، وآلائه عندهم[٣].

---

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، عبدالله النجدي، ص: ٢٥١.

(٢) شأن الدعاء، الخطابي، ١/ ٩٣.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣٢٠.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه البنود الأربعة:

١. أن الله ﷻ هو الغني بذاته، الذي له الغِنَى التامُّ من جميع الوجوه؛ لكماله وكمال صِفاته؛ فبِيَده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخِرة، فالربُّ غنيٌّ لذاته، والعبد فقيرٌ لذاته، مُحتَاج إلى ربه، لا غِنى له عنه طرْفة عين(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة:

وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لاَزِمٌ أَبَدًا *** كَمَا الْغِنَى أَبَدًا وَصْفٌ لَهُ ذَاتِي(٢)

فأكمَلُ الخلْق أكملُهم عبوديَّةً، وأعظمهم شُهُودًا لفقره وضرورته وحاجته إلى ربه، وعدم استغنائه عنه طرْفة عين، ولهذا كان من دعائه ﷺ: **(فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ)**(٣).

٢. أن يَتعفَّف المؤمن عن سؤال الناس وحاجتهم، وأن يَسأَل الغني الكريم من فضله؛ قال ﷻ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢]، وقد كان من دعاء النبي ﷺ: **(اللهم اكْفِنِي بحلالك عن حرامك، وأغنِنِي بفضلك عمَّن سِواك)**(٤)، وكان من دعائه ﷺ أيضًا: **(اللهم إني أسألك الهُدَى والتُّقَى، والعَفاف والغِنَى)**(٥).

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: **(مَن يستَعفِفْ يعفَّه الله، ومَن يَستَغنِ يُغنِه الله)**(٦).

٣. أن الله ﷻ لكمال غِناه واستِغنائه عن خلقه، قادِرٌ على أن يُذهِبَ الناسَ ويأتيَ بخلقٍ جديد، وهذا ليس بعزيزٍ على الله؛ قال ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام:١٣٣].

---

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، عبدالله النجدي، ص:٦٥٧.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى، ١/ ١٤٤.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، الأدب، ما يقول إذا أصبح، ٤/ ٣٢٤، رقم الحديث: ٥٠٩٠، قال الألباني: حسن الإسناد، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ١/ ٦٣٨.

(٤) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب الدعوات، ٥/ ٥٦٠، رقم الحديث: ٣٥٦٣، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٥١٢.

(٥) صحيح مسلم، مسلم، الدعوات، من دعاء النبي ﷺ، ٨/ ٨١، رقم الحديث: ٧٠٠٣.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، الزكاة، الاستعفاف في المسألة، ٢/١٢٢، رقم الحديث: ١٤٦٩.

٤. أن الله ﷻ قَرَنَ غِناه بالحمد؛ كما في آية السورة؛ قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة:٦]؛ لأنه ليس كلُّ غنيٍّ نافعًا بغناه، إلا إذا كان الغني جَوَادًا مُنعِمًا، وإذا جادَ وأنعم حَمِدَهُ المُنعَمُ عليهم، واستحقَّ عليهم الحمد، وليدلَّ به على أنه الغني النافع بغِناه خلقَه، الجَوَاد المُنعِم عليهم، المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه[١].

سابعًا: الحميد

هو المَحْمُود الذِي اسْتَحَق الحَمْدَ بِفَعَالِهِ، وَهوَ الذِي يُحمَدُ في السَّراء والضَّرَّاءِ، وَفي الشِّدَةَ والرَّخَاءِ، لأنه حَكِيْم لَا يَجْرِي في أَفْعَالِهِ الغَلَط، وَلاَ يعترِضُهُ الخطأ؛ فهو محمودٌ عَلى كل حَال[٢].

وقد وصف الله ﷻ نفسه بهذه الاسم، وكَثُر وروده في القرآن العظيم، وورد ذكره في سورة الممتحنة، قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة:٦]، أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلا هو، ولا رب سواه[٣].

وقال السعدي: "الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله ﷻ دائرة بين الفضل والعدل"[٤].

والفرق بين الحمد والمدح؛ أن الحمد أعم وأصدق في الثناء على الممدوح من المدح، فالحمدُ إخبار عن محاسن المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، ولهذا كان خبرًا يتضمن الإنشاء، بخلاف المدح فإنه خبرٌ مجردٌ[٥]، فقد يمدَحُ الإنسان من لا يحب.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذان البندان:

١. الإيمان بأن الله ﷻ هو المستحق للحمد على الإطلاق، كما قال ﷻ عن نفسه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، فله جميع المحامد بأسرها، وليس ذلك لأحد إلا له ﷻ[٦].

وقد كان النبي ﷺ حامدًا لربه ﷻ في جميع أحواله وشأنه كله، من ذلك ما كان يقوله ﷺ إذا قام

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٤/ ٣٣٧.

(٢) انظر: شأن الدعاء، الخطابي، ١/ ٧٨.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/ ٥٣٨.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٩٤٦.

(٥) انظر: بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، ٢/ ٩٣.

(٦) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، عبدالله النجدي، ص: ٤٨٧.

للصلاة في جوف الليل: **(اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت قيام السماوات والأرض، ولك الحمد، أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق، ووعدك الحق ...)**[١].

وقد أثنى الله ﷻ على عباده المؤمنين الذين اشترى منهم أنفسهم واموالهم بان لهم الجنة بنعتهم بصفة الحمد، فقال ﷻ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[التوبة:١١٢]، وقال ﷺ مبيِّنًا عِظَمَ حمدِ الله ﷻ: **(الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن، أو تملأ، ما بين السماوات والأرض ...)**[٢].

وقال ﷺ أيضًا في فضل الحمد على النعم وشكرها: **(مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ)**[٣]، أي: كان إلهام الله ﷻ له من الحمد والشكر، أفضل مما أخذ من النعمة.

وأخبر نبينا ﷺ أن حمد الله ﷻ من أسباب رضاه عن عبده، فقال: **(إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها)**[٤].

٢. الإيمان أن كل ما يُحمَدُ به العباد فهو من الله ﷻ، لأنه الواهب للصفات المحمودة.

قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: "فإن الله ﷻ أخبر أن له الحمد، وأنه حميد مجيد، وأن له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم، ونحو ذلك من أنواع المحامد.

والحمد نوعان: حمدٌ على إحسانه إلى عباده، وهو من الشكر.

وحمدٌ لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله، وهذا الحمد لا يكون إلا على ما هو في نفسه مستحق للحمد، وإنما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال، وهي أمور وجودية فإن الأمور

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الصلاة، الذكر والدعاء في صلاة الليل، ٢/ ١٨٤، رقم الحديث: ١٧٥٨.

(٢) المصدر السابق، الطهارة، الطهور شطر الإيمان، ١/ ١٣٩، رقم الحديث: ٤٥٤.

(٣) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، الأدب، فضل الحامدين، ٢/ ١٢٥٠، رقم الحديث: ٣٨٠٥، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ٩٧٥.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، الدعوات، استحباب حمد الله ﷻ بعد الأكل والشرب، ٨/ ٨٧، رقم الحديث: ٧٠٣٢.

العدمية المحضة لا حمد فيها، ولا خير ولا كمال"[1].

ثامنًا: القدير.

"القدير: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له "كن فيكون"، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد"[2]، وهو تام القدرة لا يلابس قدرته عجز بوجه[3].

وقال ابن القيم:

وهو القديرُ، وليس يُعجِزه إذا *** ما رام شيئًا قطُّ ذو سلطان[4]

وقد ورد ذكر هذا الاسم في سورة الممتحنة في قوله ﷻ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة:٧]

أيْ: قديرٌ على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة والمتباينة والمختلفة، فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة، فتصبح مجتمعة متفقة[5].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه البنود الأربعة:

١. الإيمان بأن الله ﷻ على كل شيءٍ قديرٌ، لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، كما قال ﷻ عن نفسه: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾[الروم:٥٤].

٢. الإيمان بقدرته ﷻ على بدء الخلق، وإعادته، كما قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾[الروم:٢٧]، كذلك الإيمان بقدرته على إحكام الخلق بحيث لا يتشابهون، إذ أنه من عجيب قدرته ﷻ، كثرةُ الخلق، ثم لا ترى أحدًا يشبه الآخر شبهًا لا يكون بينهما فيه فرق[6].

---

(١) مجموع الفتاوى، ٦/ ٨٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٩٤٧.

(٣) انظر: المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، ١/ ١٩٨.

(٤) نونية ابن القيم: الكافية الشافية، ص: ٢٠٥.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٨٩.

(٦) انظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ابن حزم الأندلسي، ص: ٦٤.

٣. الإيمان بأن الله ﷻ وحده يحول بين المرءِ وقلبه، وهو وحده الذي يقلب القلوب، ومن هنا كان أكثر قسم النبي ﷺ: **(لا ومقلب القلوب)**[(١)]، فيكون أغلب سؤلِ المؤمن لربه ﷻ؛ أن يثبت قلبه على الإيمان والهدى، كما كان ذلك سؤال نبيِّنا ﷺ[(٢)].

قال ابن القيم: "القدير الذي لكمال قدرته يهدي من يشاءُ ويضل من يشاءُ ويجعل المؤمن مؤمنًا والكافر كافرً والبَرَّ بَرًّا والفاجر فاجرًا، وهو الذي جعل إبراهيم وآله أَئمة يدعون إليه ويهدون بأَمره، وجعل فرعون وقومه أَئمة يدعون إلى النار"[(٣)]، وهو المعنى المرادُ في السورة.

٤. الإيمان بكمال قدرته في الاخرة ﷻ، فقد ثبت أن حبرًا من أحبار اليهود، جاء إلى النبي ﷺ فقال: (يا محمد، إذا كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والماء والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع، ثم يَهُزُّهُنَّ، ثم يقول: أنا الملك أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تعجبًا وتصديقًا لقوله، ثم قال النبي ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾[الأنعام:٩١])[(٤)]، وإن العبد المؤمن الذي يوقن بكمال قدرته ﷻ في الدنيا والآخرة؛ يصدق التوكل عليه ﷻ، ويشعر بالعزة في مواجهة الظالمين والكافرين، ولا يظلم غيره من الناس، ولا يغتر بقدرته مهما بلغت، ويعفو عند المقدرة على الناس، ويغترف من محبة القدير ﷻ فيسلم لقدره خيره وشره[(٥)].

تاسعًا: الغفور.

هُوَ الَّذِي يستر ذنُوب عباده ويغطيهم بستره[(٦)].

وقد وصف الله ﷻ نفسه بهذه الاسم، وكَثُر وروده في القرآن العظيم، ومن ذلك ما ورد في سورة الممتحنة؛ حيث جاء مقترنًا باسم الرحيم، قال ﷻ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة:٧].

---

(١) صحيح البخاري، الدعوات، القدر، باب ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤]، ٨/ ١٢٦، رقم الحديث: ٦٦١٧.

(٢) انظر: السنن الكبرى، النسائي، النعوت، ولتصنع على عيني، ٧/ ١٥٦، رقم الحديث: ٧٦٩٠.

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص: ١٢٨.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، التوحيد، كلام الرب ﷻ للأنبياء وغيرهم، ٩/ ١٤٨، رقم الحديث: ٧٥١٣.

(٥) انظر: هنيئًا لمن عرف ربه، أسماء الجلال، خالد أبو شادي، ص:١٩٤.

(٦) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص: ٣٨.

أي: يغفر للكافرين والموالين لهم؛ إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له، وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه، من أي ذنب كان[1].

والغفار ﷻ الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحدٍ مضطرٌ إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطرٌ إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال ﷻ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾[طه:٨٢][2].

قال ابن القيم:

وهو الغفورُ فلو أتَى بقُرابِها *** من غيرِ شركٍ؛ بلْ من العصيانِ

لاقَاه بالغفرانِ مِلْءَ قُرابها *** سبحانه هو واسعُ الغفرانِ[3]

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه البنود الثلاثة:

١. الإيمان بأن الله ﷻ غفورٌ وغفّار للذنوب والخطايا؛ صغيرها وكبيرها، يغفر كل شيءٍ حتى الشرك به ﷻ إذا تاب منه العبد قبلَ توبته، قال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

٢. أن يأخذ العبد بالأسباب المؤدية إلى المغفرة، فلا يسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي والفواحش؛ بحُجة أن الله غفور رحيم، قال ﷻ: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[النمل:١١]، فاشترط تبدل الحال من عمل المعاصي والسيئات، إلى عمل الطاعات والحسنات، لكي تتحقق المغفرة والرحمة، ومن أعظم الأسباب المؤدية للمغفرة: كثرة الدعاء، وكثرة الاستغفار، وكثرة الصلاة على النبي ﷺ، وتوحيد الله ﷻ[4].

٣. أن يتحرى العبد أوقات الاستغفار: كالاستغفار بعد الخروج من الخلاء، وبعد الوضوء، وفي الركوع والسجود، والجلوس بين السجدتين، وعقب صلاة الفريضة، وفي الاستسقاء، وفي

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٨٩.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٩٤٦.

(٣) نونية ابن القيم: الكافية الشافية، ص: ٢٠٩.

(٤) انظر: هنيئًا لمن عرف ربه، أسماء الجلال، خالد أبو شادي، ص:٢١٨.

الأسحار، وفي ختام كل مجلس(١).

روى مكحول(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: ما رأيت أكثر استغفارًا من رسول الله ﷺ، وقال مكحولٌ: ما رأيت أكثر استغفارًا من أبي هريرة ﷺ، وكان مكحول كثيرَ الاستغفارِ(٣).

عاشرًا: الرحيم.

الرحمة هي الرقة والتعطف، واسمه الرحيم ﷻ؛ مشتقٌ من الرحمة على وجه المبالغة، و(رحمن) أشد مبالغةً من (رحيم)(٤).

وقد ورد هذا الاسم في سورة الممتحنة مقترنًا باسم الغفور في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:٧]، وقوله ﷻ: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة:١٢].

والرحيم: اسمٌ مختصٌ بالمؤمنين، يرحمهم ربهم ﷻ رحمةً خاصةً في الدنيا والآخرة، فقد قال ﷻ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣](٥).

قال ابن القيم: "الرحمن دالٌ على الصفة القائمة به ﷻ، والرحيمُ دالٌّ على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف، والثاني للفعل، فالأول دالٌ أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١١٧]، ولم يجئْ قط رحمن بهم، فعلم أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته، وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب، وإن تنفست عندها مرآة قلبك لم تنجل لك صورتها"(٦).

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص:٢٢٨.

(٢) هو الدِّمَشْقِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ، عَالِمُ أَهْلِ الشَّامِ، رَوَى عن: طَائِفَةٍ مِنْ قُدَمَاءِ التَّابِعِيْنَ، مَا أَحْسِبُهُ لَقِيَهُم؛ كَأَبِي مُسْلِمٍ الخَوْلاَنِيِّ، وَمَسْرُوْقٍ، وَمَالِكِ بنِ يَخَامِرَ، وَحَدَّثَ عَنْ: وَاثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ، وَأَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ، وَأَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ، ومات بعد سنة ١١٢ هـ. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ٥/ ١٥٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٤/ ٢١٠.

(٤) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، ص:٧٥.

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١/ ١٢٨.

(٦) بدائع الفوائد، ٢٤/١.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم:

١. إثبات صفة الرحمة لله رب العالمين[١]، وأن رحمته سبقت غضبه ﷻ، وأنها وسعت كل شيءٍ، فهي تتجاوز حدود الزمان والمكان، وصورها وآثارها في الكون شاهدةٌ حاضرةٌ لا تخفى على ذي لُبٍّ، قال ربنا الرحيم الرحمن ﷻ: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[الأعراف:١٦٥].

٢. أن يتصف العبد المؤمن بصفة الرحمة[٢]، وأن يتخلق بهذا الخلق النبيل الكريم، فقد وصف الله ﷻ نبيه ﷺ بالرحمة، فقال: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨] ، وبين النبي الرحيم ﷺ أن رحمة الله ﷻ تنال الرحماء من عباده، فقال ﷺ: **(من لا يرحم الناس، لا يرحمه الله ﷻ)**[٣].

٣. أن يحرص العبد المؤمن على طاعة الله ﷻ، وطاعة رسوله ﷺ، لأنهما طريق واصلٌ لنيل رحمة الرب ﷻ، ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٢].

حاديَ عشرَ: العليم.

هو العالم بالسرائر والخفيات التي لا يدركها علم الخلق، كقوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[هود:٥]، وجاء على بناء فعيل للمبالغة في وصفه بكمال العلم، ولذلك قال ﷻ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[يوسف:٦٧][٤].

وقد ورد ذكر هذا الاسم في سورة الممتحنة مقترنًا بالحكمة، قال ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[الممتحنة:١٠].

قال ابن منظور[٥]: "فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولمّا يكن بعد قبل أن يكون، لم يزل عالمًا ولا يزال عالمًا بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في

---

(١) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، ص:٨٠.

(٢) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، ص:٩١.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، فضائل النبي ﷺ، في رحمته ﷺ، ٧/ ٧٧، رقم الحديث: ٦٠٩٩.

(٤) انظر: شأن الدعاء، الخطابي، ٥٧/١.

(٥) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ، ولد بالقاهرة سنة: ٦٣٠ هـ، وكان عالمًا في الفقه واللغة، وكان عنده تشيع بلا رفض، وله تصانيف كثيرة، أشهرها: لسان العرب، ت٧١١ هـ. انظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ٥/ ٣٧.

السماء ﷻ، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها دقيقها وجليلها على أتم الإمكان"[1].

وقال السعدي: "وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"[2].

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم العظيم؛ هذه الأربعة:

١. إثبات العلم التام الشامل الكامل الواسع لله وحده، لا يشابهه أحد من مخلوقاته في كما علمه[3]، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[طه:٩٨].

٢. أن يخلص الإنسان النية والقصد للعليم ﷻ، فيحمله ذلك على الخشية، والتواضع، وغيرها من الأخلاق الحسنة، وأن يدعو الله باسمه العليم سبحانه وبحمده.

٣. الإيمان بأن الخلق لا يحيطون علمًا بالخالق ﷻ، أي أنهم لا يعلمون شيئًا عن ذاته وصفاته، إلا ما أطلعهم عليه ﷻ، قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[طه:١١٠]، وبوجه أعمٍّ؛ فإن الخلق لا يعلمون شيئًا من المعلومات إلا بتعليم الله ﷻ لهم، وكل علم شرعي وقدري، فمرجعه إلى العليم الحكيم سبحانه وبحمده، كما قالت الملائكة: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[البقرة:٣٢]، وقال ربنا ﷻ مخاطبًا نبيَّه ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء:١١٣]، وكذلك الإيمان بأن علم المخلوقات قليل بالنسبة لعلم الله ﷻ، فقد قال ﷻ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥]، وأن علم العليم ﷻ لا يعتريه نقص ولا جهل ولا نسيان، فقد قال عن نفسه سبحانه وبحمده: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[مريم:٦٤]، بخلاف الخلق الذين وصفهم الله ﷻ بالجهل فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل:٧٨] [4].

---

(١) لسان العرب، ١٢/ ٤١٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٩٤٥.

(٣) انظر: النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، ص:٢١٦.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص:٢٢٠.

قال الخطابي[1]: "والآدميون -وإن كانوا يوصفون بالعلم- فإن ذلك ينصرف منهم إلى نوع من المعلومات، دون نوع، وقد يوجد ذلك منهم في حال دون حال، وقد تعترضهم الآفات فيخلف علمهم الجهل، ويعقب ذكرهم النسيان، وقد تجد الواحد منهم عالمًا بالفقه غير عالمٍ بالنحو، وعالمًا بهما غير عالم بالحساب وبالطب ونحوهما من الأمور، وعلم الله ﷻ علم حقيقة وكمال: ﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن:٢٨]"[2].

٤. الإيمان بأن الله ﷻ اختص بعلم الغيب، فقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[النمل:٦٥]، وأن مفاتح الغيب ومفاتيحه عنده وحده، كما قال ﷻ: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام:٥٩]، وقد فسر النبي ﷺ هذه المفاتح بقوله: (**مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ:** ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤])[3].

والمراد بالغيب: المغيبات على سبيل الاستغراق، وما في الأخبار يحمل على بيان البعض المهم لا على دعوى الحصر، إذ لا شبهة في أن ما عدا الخمس من المغيبات لا يعلمه أيضا إلا الله ﷻ[4].

---

(١) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً، له تصانيف بديعة. انظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٢/ ٢١٤.

(٢) شأن الدعاء، ٥٧/١.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان:٣٤]، ١١٥/٦، رقم الحديث: ٤٧٧٨.

(٤) انظر: روح المعاني، الآلوسي ٤/ ١٦٢.

المبحث الرابع

الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية العقدية

إن القرآن الكريم انفرد بأسلوب خاصٍّ في تأليف ألفاظه، واختيار كلامه، وبث توجيهاته التي يستفاد منها في إرشاد المسلم وتوجيهه، وقد جاءت التوجيهات العقديَّة في سورة الممتحنة بأساليب عدة؛ بيَّنْتُها في ثلاثة مطالب كما يأتي:

المطلب الأول: أسلوب الترغيب والترهيب.

وفيه أربعة فروعٍ كما يأتي:

أولًا: معنى الترغيب لغةً واصطلاحًا:

أ. **الترغيب لغة:** مشتقٌ من الرغبة بمعنى طلب الشيء[١]، ورغبتُ في الشيء، إذا أردتُه[٢]، والرغبة: الحرصُ على الشيء، وسؤالُه، والطمعُ فيه[٣].

وبالنظر مليًّا في التعاريف السابقة يتضح أن الترغيب يدور حول الطلب والإرادة، والحرص والطمع والمسألة.

ب. **الترغيب اصطلاحًا:** "كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه"[٤].

ثانيًا: معنى الترهيب لغةً واصطلاحًا:

أ. **الترهيب لغة:** "رَهِبَ الشيءَ رهْبًا ورَهَبًا ورَهْبةً: خافَهُ"[٥].

قال العسكري[٦]: "الرهبة طول الْخَوْف واستمراره، وَمن ثمَّ قيل للراهب رَاهِب لِأَنَّهُ يديم الخوف"[٧].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/٤١٥.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١/ ١٣٧.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/٤٢٢.

(٤) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص: ٤٣٧.

(٥) لسان العرب، ابن منظور ، ١/ ٤٣٦.

(٦) أبو هلال العسكري وهو الحسن بن عبد الله العسكري ولد عام ٣١٠هـ، وكان شاعرًا وأديبًا له مؤلفات كثيرة، ويرجع نسبه إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، وهو تلميذه أيضًا، وتوفي ٣٩٥ هـ. انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، ٩/ ٣٣٨.

(٧) الفروق اللغوية، ص: ٢٤١.

ب. الترهيب اصطلاحًا: "كل ما يخيف ويحذر المدعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"(١).

ت. وأمَّا الترغيب والترهيب؛ فمعناه: وعدٌ يصحبه تحبيبٌ وإغراءٌ، بمصلحة أو لذة أو متعة آجلة، مؤكدة، خيرة، خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح، أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيئ ابتغاء مرضاة الله، وذلك رحمة من الله لعباده يقابله وعيدٌ، وتهديدٌ بعقوبة تترتبُ على اقترافِ إثمٍ، أو ذنب مما نهى الله عنه أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به(٢).

ثالثًا: وروده في سورة الممتحنة:

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم عامةً، وسورة الممتحنة خاصةً؛ يجد أنه اتخذ من أسلوب الترغيب والترهيب سبيلًا لِبَثِّ توجيهاته، وتحقيقِ أهدافه، إذ إن طبيعة النفس البشرية تحتاجُ دائمًا لهذا الأسلوب النافع، وقد أوفت سورة الممتحنة هذا الأسلوب القرآني حقه، فجمعت أسلوبي الترغيب والترهيب تارةً، حيث نهى الله ﷻ عن اتخاذ أعدائِه أولياءَ، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾[الممتحنة:١]، ورهَّب من ذلك فقال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة:١]، كما رغب ﷻ المؤمنين في إعلان التبرؤ منهم، وتولي الله ورسوله والمؤمنين، فقال ﷻ: ﴿إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِي﴾[الممتحنة:١].

وأفردت أسلوب الترهيب وحده تارةً أخرى، فقال ﷻ محذرًا المؤمنين من عواقب موالاة أعدائه: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[الممتحنة:٢، ٣].

كما رغَّبت السورة المؤمنين بالاقتداء بإبراهيم ﷺ والذين معه، في سلوكهم مع قومهم، وبيَّنت أن هذا سلوك من يرجو الله واليوم الآخر، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[الممتحنة:٦].

---

(١) أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ص: ٤٣٧.

(٢) انظر: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبدالرحمن النحلاوي، ص: ٢٣١.

رابعًا: أهمية أسلوب الترغيب والترهيب:

يعتبر أسلوب الترغيب والترهيب من أنجع الأساليب في الدعوة؛ لاعتماده على عنصري الثواب والعقاب، اللذين علم الله ﷻ من طبيعة البشر أنهما يشكلان حافزًا قويًّا؛ للإقبال على كل ما هو نافع، والانكفاف عن كل ما هو ضار، وهذا الأسلوب واضحٌ وبارزٌ في كتاب الله ﷻ.

وقد أكد كثير من المفسرين على اعتماد القرآن الكريم على أسلوب الترغيب والترهيب؛ قال الزمخشري: "من عادته ﷻ في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، ويشفع البشارة بالإنذار إرادةَ التنشيط، لاكتساب ما يُزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يُتلف"[1].

وقال ابن كثير: "وكثيرًا ما يقرن ﷻ في القرآن بين هاتين الصفتين، كما قال ﷻ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾[الحجر:٤٩، ٥٠]، وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[الرعد:٦]، وغير ذلك من الآيات المشتملة على الترغيب والترهيب، فتارةً يدعو عباده إليه بالرغبة وصفة الجنة والترغيب فيما لديه، وتارة يدعوهم إليه بالرهبة وذكر النار وأنكالها وعذابها والقيامة وأهوالها، وتارةً بهذا وبهذا ليُنجِع في كُلٍّ بحسْبِه"[2].

وقال أبو السعود: " من السُنة السَّنِيِّة القرآنية؛ شفْعُ الوعدِ بالوعيد، والجمعُ بين الترغيب والترهيب؛ إيفاءً لحقِّ الدعوى بالتبشير والإنذار "[3].

وتكمن أهمية هذا الأسلوب الأخَّاذِ الرائعِ في الآثار التي تترتب عليه، وما يُخَلِّفُه من تحسنٍ إيجابِيٍّ في سلوك الفرد والمجتمع، فهو يلبي حاجاتِ الإنسان كلها، ويحافظ على توازنه بين الخير والشر، كما يُعالج فتور نفسه، ويراعي كونه خُلِقَ ضعيفًا.

قال ابن القيم: "إنّما يشتد افتقارُ العبدِ إلى العِظة، وهي الترغيب والترهيب إذا ضعفت إنابته وتذكره، وإلاّ فمتى قَوِيت إنابتُه وتذكُره لم تشتدَّ حاجتُه إلى التذكير والترغيب والترهيب، ولكن تكون الحاجة منه شديدةً إلى معرفة الأمر والنهي"[4].

---

(١) الكشاف، ١/ ١٠٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٣٨٥.

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٣/ ١٢.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١/ ٤٤٤.

المطلب الثاني: أسلوب النداء القرآني.

اعتمد القرآن الكريم أسلوبَ النداء في توصيل رسالته للعالمين، وتوضيحِ مقاصدِه التي ضَمَّنَها أحكامَه وتشريعاتِه، لما له من أثرٍ بالغ في استجابة المُخَاطبين وهدايتهم.

وفي هذا المطلب فرعان كما يأتي:

أولًا: معنى النداء:

أ. **لغة:** "اشتقاقه من ندى الصوت وهو بعده، يُقال: فلانٌ أندى صوتًا من فلانٍ، إذا كان أبعدَ صوتًا منه"(١).

ب. **اصطلاحًا:** "هو طلب إقبال المدعوّ على الداعي بحرفٍ نائب مناب أدعو، ويصحب في الأكثر الأمر والنهي"(٢).

ثانيًا: ورود النداء في سورة الممتحنة وغرضه:

وقد جاء النداءُ في فاتحة عشر سور قرآنية: خمس بنداء النبي ﷺ، وذلك في سور الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزمل، والمدثر، وخمس بنداء الأمة، وذلك في سور النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة.

وفي ثنايا سورة الممتحنة؛ جاءت سبعة نداءات: ثلاثة منها جاء المنادَى فيها موصوفًا بوصف الإيمان، وثلاثة بلفظ الدعاء، والنداء السابع للنبي ﷺ.

فأمّا النداءات للمؤمنين؛ فهي قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [الممتحنة:١]، وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّ ﴾ [الممتحنة:١٠]، وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الممتحنة:١٣].

والسرُّ في تكرير النداء للذين آمنوا؛ أنَّ فيه أوجهًا من التأكيد، وأسبابًا من المبالغة، منها: ما في (يا) من التأكيد والتنبيه، وما في (ها) من التنبيه، وما في (أي) من التدرج من الإبهام إلى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد، لأن كل ما نادى الله عباده من أوامره ونواهيه، وعِظَاته وزوَاجره، ووعْدِه ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية، وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام وخطوبٌ جسام، ومعان واجبٌ عليهم أن يتيقَّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها

---

(١) شرح ألفية ابن مالك، الأشموني، ٣/ ١٥.

(٢) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ص: ٨٩.

وهم غافلون، فاقتضى الحال أن يُنادوا بالآكد الأبلغ(١).

وأمّا النداءات بلفظ الدعاء؛ فهي قوله ﷻ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٤، ٥].

وأمّا النداء للنبي ﷺ؛ فهو قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[الممتحنة:١٢].

والغرض الرئيس من أسلوب النداء: التنبيه والاهتمام بمضمون الخطاب؛ لأن النداء يسترعي إسماع المنادَيْن، وعباراتُ المفسرين الدالةُ على هذا الغرض كثيرة، نختار منها، قولَ ابن عاشور: "وافتتاحُ الخطاب بالنداء؛ للاهتمام بما سيُلقى إلى المخاطبين قصدًا لإحضارِ الذهنِ، لوعيِ ما سيُقَالُ لهم"(٢).

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، ١/ ٩٠، وانظر أيضًا: معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، ١/ ٣٤٠.

(٢) التحرير والتنوير، ١٢/ ٩٥.

المطلب الثالث: أسلوب الإقناع.

إن من مميزات الشريعة الإسلامية، أنها شريعة مُبرهِنة مُقنِعة، لا تكتفي من تقرير قضاياها بالإلزام المجرد والتكليف الصارم، ويقول قرآنها بصراحة: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١]، ولا تكتفي بمخاطبة القلب والوجدان، بل تتبع قضاياها بالحجج الدامغة، والبرهان الناصع، والتعليل الواضح الذي يملك أَزِمَّة العقول، ويأخذ الطريق إلى القلوب(١).

وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

أولًا: معنى الإقناع لغة واصطلاحًا:

أ. **لغة:** القافُ والنونُ والعينُ أصلان صحيحان، أحدهُما يدلُّ على الإقبالِ على الشيء، والآخرُ يدلُّ على استدارةٍ في شيءٍ(٢).

ب. **اصطلاحًا:** هو عمليات فكرية وشكلية، يحاول فيها أحد الطرفين التأثير على الآخر وإخضاعَهُ لفكرةٍ ما(٣).

ثانيًا: أسس الإقناع وأهدافه:

يقوم الإقناع على أسس راسخةٍ لا بد من وجودها ليتحقق المطلوب، وهي: العلم، والحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالحسنى، وهي التي ذكرها الله ﷻ في قوله: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، من أجل أن يحقق هدفهُ الأساسي، الذي يتمثل في التعريف الصحيح بالإسلام والشريعة؛ عقيدةً وعملًا، وتأكيد المبادئ والأخلاق النبيلة التي يقوم عليها، وتصحيح الصورة الذهنية الخاطئة عند غير المسلمين عن الإسلام، وتغيير استجاباتهم، ونشر ثقافة الإقناع(٤).

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، ص ٤٨-٤٩.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٣٢.

(٣) انظر: كيف تقنع الآخرين، عبدالله العوضي، ص: ١٥.

(٤) للاستزادة: انظر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم -دراسة استقرائية تحليلية-، حليمة لموشية، وانظر أيضًا: من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، عمر عبيد حسنة، موقع إسلام ويب على الشبكة العنكبوتية.

ثالثًا: ورود الإقناع في سورة الممتحنة:

بدا أسلوب الإقناع واضحًا جليًّا في سورة الممتحنة من خلال نهي الله ﷻ المؤمنين عن موالاة الكافرين، ومناداتهم بنداء الإيمان، وإبداء الأسباب المنطقية التي تدفع المؤمنين لقطع موالاة الكافرين، ومعاداتهم، والتبرؤ منهم.

إن الآيات تقرر أنّهُ لا يمكن أن يستقِرَّ الإيمانُ في قلبِ مؤمنٍ يتخذُ أعداءَ الله أولياء، ويلقي إليهم بالمودة، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾[الممتحنة:١]، والحالُ أنهم كفروا بالله ورسوله، وأخرجوا المؤمنين من ديارهم، لا لشيءٍ إلا أنهم آمنوا بالله ربهم، كما وتُبيِّنُ الآيات العاقبة السيئة لمن يضرب بأوامر الله ﷷ ورسوله ﷺ عرض الحائط، وهي عدم الانتفاع بمودة الكافرين في الدنيا، والآخرة، ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[الممتحنة:١، ٢]، وعليه؛ فإن الواجب على كل مسلمٍ أن يوالي المؤمنين، وأن يعادي الكافرين؛ استجابة لأمر الله ﷻ.

ومن جميل ما جاء به القرآن في سورة الممتحنة في باب الإقناع؛ أنهُ يضرب المثل بإبراهيم ﵇: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[الممتحنة:٤]، زيادةً في إقناع المؤمنين بامتثال أمر الله ﷻ بقطع موالاة الكافرين، ثم يعرض عليهم الجزاء الأُخرَوي حضًّا لهم على التأسِّي بإبراهيم ﵇: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾[الممتحنة:٦].

الفصل الثاني

توجيهات تربوية تعبدية وأخلاقية

المبحث الأول

توجيهات تربوية تعبدية

إن العبادة في عرف الشرع تتحقق بطاعة الله ﷻ القائمة على امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، سواءٌ أكان ذلك في الاعتقاد، أو في العمل الظاهر، وقد جاءت سورة الممتحنة بلفيفٍ ظاهرٍ من التوجيهات التعبدية التي ترفع العبد عند ربه ﷻ، وتثقل ميزانه بالطاعات والقربات، وقد بيَّنْتُها في ثلاثة مطالب، كما يأتي:

المطلب الأول: رابطة الدين أقوى من كل رابطة.

جعل الإسلام جامعة الدين هي الجامعةَ الحقَّ للمسلمين، تصغر أمامها الروابط كلُّها، وأبقى ما عداها من الجوامعِ جوامعَ فرعيةً، تعتبر صالحةً ما لم تَعُدْ على الجامعةِ الكبرى بالانحلال، ودعا الناس لاتّباعِها؛ ليكونوا أمةً واحدةً، تجمعُها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح، حتى يستتبَّ للمسلمين إقامة هذه الجامعة، فلا تخترقَها جامعةٌ أخرى تَثْلِمُها، قال الله ﷻ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣]، بل إن الله ﷻ أمر بدحضِ بقيّة الجوامع إذا كانت مضادةً لهذه الجامعة، فقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمًا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡ﴾[المجادلة:٢٢][(١)].

ولمّا أراد بعضُ المسلمين أن يُوَادُّوا أعداء الله من المشركين؛ وقايةً لأرحامهم وأولادهم التي يهفون إليها، وتتعلق قلوبهم بها، أخبرهم الله ﷻ أن من وراء ذلك ضلالَ السبيل، وهدَّدهم تهديدًا مخيفًا؛ فقال: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[الممتحنة:١]، وهذا التهديد يتوسط تبصير المؤمنين بحقيقة أعدائهم، وما يضمرون لهم من الشر والكيد، ثم تجيء البقية: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءً وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ﴾[الممتحنة:٢]، فلا تعرض لهم فرصةٌ يتمكنون فيها من المسلمين، حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل، ويوقعوا بهم ما يملكون من الأذى

---

(١) انظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ابن عاشور، ص: ١٠٨.

والتنكيل، والأدهى من هذا كله: ﴿وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾[الممتحنة:٢][١]، وهذه هي عاقبة ابتغاءِ المنافعِ في الأنساب في الدنيا، واجتماعِها على غير رابطة الدين.

وقد أخبر الله ﷻ عن حال هؤلاء في الآخرة، وما يؤول إليه حالُ أنسابهم، وأرحامهم التي رجوا اجتماعها في الدنيا على غير رابطة الدين القويم، فقال: ﴿لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾[الممتحنة:٣]، لأن العروة التي تربطكم بهم مقطوعةٌ، وهي العروة التي لا رباط بغيرها عند الله ﷻ[٢]، إنها العروة الوثقى؛ عروةُ الدين والعقيدة.

إن الأنساب بين الناس في الدنيا إذا لم تجمعها رابطة الدين؛ تنتهي في ساحة الحساب، إذ إن الله ﷻ يفصل بينهم يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[المؤمنون:١٠١]، ويومئذٍ ﴿تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا﴾[النحل:١١١].

إن جميعَ الناس راجعون إلى الله ﷻ، ومعروضون عليه، وموقوفون بين يديه، ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾[مريم:٩٥]، يومئذٍ تتقطع كل الروابط سوى رابطة الدين الذي رضيهُ الله ﷻ لعباده، فلا لسان، ولا قرابة، ولا دمَ، ولا شركاء، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾[الأنعام:٩٤].

وقد أخبر النبي ﷺ بهذه الحقيقة فقال: **(ومن بطَّأ به عملُه، لم يُسرِع به نسبُه)**[٣]، ولمَّا أُنزِلَ عليه: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، قال: **(يا معشر قريش: -أو كلمة نحوها- اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من**

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٢٥٠.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب ، ٦/٢٥٠.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، التوبة والدعاء والذكر والاستغفار، فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر، ٨/ ٧١، رقم الحديث: ٦٩٥٢.

الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئًا)[١]، وقال لعمه أبي طالبٍ، وهو على فراش الموت: **(أيْ عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمةً أُحاجُّ لك بها عند الله)**[٢]، أي أنه ﷺ بغير هذه الكلمة –كلمة التوحيد– التي هي أصلٌ لرابطة الدين؛ لا يستطيع أن يشفع لعمه يوم القيامة، سوى أنه يُخَفَّفُ عنه العذاب، وقد قال العباس ﷺ، لرسول الله ﷺ: هل نفعت أبا طالب بشيءٍ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: **(نعم، هو في ضحضاحٍ من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)**[٣]، وأكّد القرآن على هذه الحقيقة، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[فاطر:١٨].

المطلب الثاني: تقوى الله ﷻ، والتوكل عليه ﷻ، والإنابة إليه ﷻ.

وفي هذا المطلب ثلاثة فروع كما يأتي:

الفرع الأول: تقوى الله ﷻ.

وفي هذا الفرع نقطتان، كما يأتي:

أولًا: معنى التقوى لغةً واصطلاحًا:

أ. **لغة:** الواو والقاف والياء: كلمةٌ واحدة تدل على دفع شيء عن شيء بغيره، والوقاية: ما يقي الشيء، واتق الله: توقه، أي اجعل بينك وبينه كالوقاية[٤].

ب. **اصطلاحًا:** "أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه، وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه"[٥].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤]، ٦/ ١١٢، رقم الحديث: ٤٧٧١.

(٢) صحيح البخاري، البخاري ، مناقب الأنصار، قصة أبي طالب، ٥/ ٥٢، رقم الحديث: ٣٨٨٤.

(٣) صحيح مسلم ، مسلم، الإيمان، شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه، ١/ ١٣٣، رقم الحديث: ٤٣٠.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ١٣١.

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ١/ ٣٩٨.

ثانيًا: أهمية التقوى وفضائلها:

إن تقوى الله ﷻ طريق الوصول إليه، وسببُ محبته ورضوانه، ولذا فقد ذكرت في القرآن في آيات كثيرة، ونبه عليها رب العزة ﷻ إشعارًا بأهميتها وفضلها؛ قال ﷻ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [الممتحنة:١١]، وقد جاءت فاصلة الآية تأمر بالتقوى، بعد أن أمرت بأداء المهور لأصحابها ومستحقيها؛ لأنَّ المجازاة في مثل ذلك عسرٌ على النفس، إذ إن المهور تتفاوت تارة، وتتساوى تارة أخرى، وتارة تكون نقودًا، وتارة تكون عروضًا، إلى غير ذلك من الأحوال، مع أن المعامل عدو في الدين، فلا يحمل على العدل فيه إلا خالص التقوى[1].

والتقوى أجمل لباسٌ يتجمل به العبد المؤمن، قال ربنا ﷻ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦].

قال الطبري: "أولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ﴾: استشعار النفوس تقوى الله ﷻ، في الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه، والعمل بما أمر به من طاعته، وذلك يجمع الإيمان، والعمل الصالح، والحياء، وخشية الله، والسمتَ الحسن، لأن مَنْ اتقى الله ﷻ كان به مؤمنًا، وبما أمره به عاملًا ومنه خائفًا، وله مراقبًا، ومن أن يُرَى عند ما يكرهه من عباده مستحييًا، ومَنْ كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه، فحسن سَمْته وهَدْيه، ورُئِيَتْ عليه بهجة الإيمان ونوره"[2].

إن التقوى خيرُ زادٍ يتزود منه العبد استعدادًا ليوم الجزاء، قال ﷻ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[البقرة:١٩٧].

قال ابن كثير: "لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا؛ أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال ﷻ: ﴿وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾[الأعراف:٢٦]، لمّا ذكر اللباس الحسي نبه مرشدًا إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع، والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا، وأنفع"[3].

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/ ٥٢١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٢/ ٣٧١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٥٤٨.

والتقوى سبيلٌ لفلاح العبد ونجاته من عذاب الله يوم القيامة، قال ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

إنّ من بركات التقوى وثمارها: أن الله ﷻ جعل أولياءَه هم المتقين، وتكفل بالنصر والعاقبة للمتقين، وأخبر عن نفسه أنه يحب المتقين، وأنَّه مع المتقين، وأن أكرم الناس عنده؛ أتقاهم له ﷻ، وأن الجنة أُزلفت وأُعدت للمتقين، ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾[مريم:٦٣].

وقد أوصى النبي ﷺ أصحابه بالتقوى، وكانت من آخر ما أوصاهم به، فعن العرباضِ بن سارية(١) ﷺ قال: صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبلَ علينا، فوَعَظَنا موعظةً بليغةَ ذَرَفَتْ منها العيونُ ووَجِلَت منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسولَ الله: كانَ هذه موعظةُ مودعٍّ، فماذا تَعهدُ إلينا؟ قال: **(أوصيكُم بتقوى الله والسمعِ والطَّاعةِ وإنْ عَبْداً حبشيَّاً، فإنَّه من يَعِشْ منكم بَعْدي فسَيَرى اختلافاً كثيراً، فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ، المَهديِّينَ الرَّاشدينَ، تَمَسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنَّواجذِ، وإيَّاكم ومُحْدَثاتِ الأمورِ، فإن كُلَّ مُحدَثَةٍ بدْعَةٌ، وكل بدعَةٍ ضَلالةٌ)**(٢).

---

(١) يكنى أَبَا نَجِيح كَانَ من أهل الصفة، سكن الشام، ومات بها سنة ٧٥هـ، رَوَى عَنْهُ من الصحابة أَبُو رهم وَأَبُو أمامة، وَرَوَى عَنْهُ جماعة من تابعي أهل الشام. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر المالكي، ٣/ ١٢٣٩.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، السنة، في لزوم السنة، ٧/ ١٦، رقم الحديث: ٤٦٠٧، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٤٩٩.

الفرع الثاني: التوكل على الله ﷻ.

إن التوكل على الله عبادةُ الصادقين، وسبيلُ المخلصين، أمرَ اللهُ ﷻ به أنبياءَه المُرسلين، وأولياءَه المُؤمنين؛ فقدَّموه عملًا صالحًا بين يدي دعائهم ربهم، قال ﷻ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤]، وفي هذا الفرع ثلاث نقاط، كما يأتي:

أولًا: معنى التوكل لغة واصطلاحًا:

أ. **لغة:** "الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك"(١).

ب. **اصطلاحًا:** "هو صدق اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكِلَةِ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"(٢).

ثانيًا: بين التوكل والأخذ بالأسباب:

إن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل؛ بل هو من تمامه وكماله، لكنَّ الحذرَ من ركون القلب إلى الأسباب، فهذا الذي ينافى التوكل.

قال ابن القيّم: "التّوكّل من أعظم الأسباب الّتي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه؛ فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التّوكّل، ولكن من تمام التّوكّل: عدم الرّكون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محلّ حكمة الله وأمره ونهيه، والتّوكّل متعلّق بربوبيّته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبوديّة الأسباب إلّا على ساق التّوكّل، ولا يقوم ساق التّوكّل إلّا على قدم العبوديّة"(٣).

ثالثًا: مواطن التوكل:

إنّ التّوكّل على الله عزّ وجلّ مطلوب في كلّ شئون الحياة، بيد أنّ هناك مواطنَ كثيرةً ورد فيها الحضّ على التّوكّل والأمر به للمصطفى ﷺ والمؤمنين(٤)، كالتوكل على الله ﷻ في طلب العون على طاعته، وسؤال توفيقه للمؤمنين في قطع الموالاة من الكافرين كما أمرهم، وهو ما جاء

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٦/ ١٣٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ٢/ ٤٩٧.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٢/ ١٢٠.

(٤) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المؤلفين، ٤/ ١٣٨٠.

في سورة الممتحنة على لسان عباد الله الصالحين في دعائهم ورجائهم؛ ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤]، أي: فعلنا في جميع أمورنا معك، فعلَ من يحملها على قويٍّ ليكفيه أمرها، لأننا نعلمُ أنك تكفي إذا شئت من شئتَ، وأنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، وقد عادينا فيك قومًا عتاةَ أقوياءَ ونحن ضعفاء، ورضينا بكل ما يحصل لنا منهم، غير أن عافيتك هي أوسع لنا(١).

ثم يكمل المؤمنون دعاءهم قائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٥]، فلمّا قدموا التوكل والإنابة بين يدي دعائهم، ختموا دعاءهم بأن سألوا الله ﷻ باسمه العزيز الحكيم، وهذا يدلُّ على أن التوكل على الله مع الإنابة سببٌ من أسباب العزة.

قال السعدي: "فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا تقدم عليها الجيوش العظام، فإن المؤمن المتوكل على الله، الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله ﷻ، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحق، وأن الله ﷻ حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقا بربه، مطمئن القلب لا فزعًا ولا جبانًا، "(٢).

والتوكل على الله ﷻ عنوان الإيمان وأمارة الإسلام، قال ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[المائدة:٢٣]، قال سعيد بن جبير: "التوكل جِماعُ الإيمانِ"(٣).

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣])(٤).

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/ ٥٠١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٣٢٣.

(٣) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ٢/ ٤٩٧.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، التفسير، باب قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾[آل عمران:١٧٣]، ٣٩/٦، رقم الحديث: ٤٥٦٣.

الفرع الثالث: الإنابة إلى الله ﷻ.

إن الإنابة من العبادات العظيمة التي وصف الله ﷻ بها أنبيائه وعباده المؤمنين، فالصالحون من عباده يقولون: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤]، وقال ﷻ عن نبيّه داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[ص:٢٤]، وقال ﷻ عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾[ص:٣٤]، وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨]، وقال ﷻ عن نبيّنا ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[الشورى:١٠]، وأثنى الله ﷻ على خليله إبراهيم عليه السلام لاتصافه بالإنابة إليه والرجوع إليه في كل أمر، قال ﷻ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود:٧٥]، وأمر الله ﷻ بها عباده فقال: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾[الزمر:٥٤]، وفي هذا الفرع أربع نقاط، كما يأتي:

أولًا: معنى الإنابة لغة واصطلاحًا:

أ. **لغة:** "النون والواو والباء كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه"[١]، ويُقَالُ: أَنَابَ يُنِيبُ إِنَابَةً فَهُوَ مُنِيبٌ، إِذَا أَقْبَلَ ورجَع[٢].

ب. **اصطلاحًا:** الإسراع إلى مرضاة اللّه ﷻ، مع الرّجوع إليه في كلّ وقت، وإخلاص العمل له ﷻ[٣]، وقال الكفوي: "الرُّجُوع عَن كل شَيْء إِلَى الله ﷻ"[٤]، وكل معانيها تدور حول الرجوع والإقبال.

ثانيًا: أنواع الإنابة:

أنواع الإنابة إنابتان: إنابة لربوبيّته ﷻ؛ وهي إنابة المخلوقات كلّها؛ يشترك فيها المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، قال اللّه ﷻ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾[الروم:٣٣]، فهذا عامّ في حقّ كلّ داع أصابه ضرّ، كما هو الواقع.

وإنابة أوليائه: وهي إنابة لإلهيّته إنابة عبوديّة ومحبّة، وهي تتضمّن أربعة أمور: محبّته،

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٣٦٧.

(٢) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، ٥/ ١٢٣.

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ١/ ٤٣٣.

(٤) الكليات، ص: ٣٠٨.

والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عمّا سواه، فلا يستحقّ اسم المنيب؛ إلّا من اجتمعت فيه هذه الأربع[1].

ثالثًا: منزلة الإنابة:

أمر الله ﷻ بالإنابة في كتابه، وجاء في سورة الممتحنة عن عباد الله وأوليائه أنهم يقولون: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[الممتحنة:٤].

ولمَّا كان الذي ينبغي لكل أحد وإن كان محسنًا؛ أن يعد نفسه مقصرًا شاردًا عن ربه، لأنه لعظم جلاله لا يقدر أحد أن يقدره حق قدره، وأن يعزم على الاجتهاد في العبادة؛ قالوا مخبرين بذلك عادِّين ذلك العزم رجوعًا: ﴿وَإِلَيْكَ﴾: أي وحدك لا إلى غيرك، ﴿أَنَبْنَا﴾، أي: رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا[2].

رابعًا: ثمرات الإنابة:

الإنابة إلى الله ﷻ هي مفتاح السعادة، والهداية، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[الرعد:٢٧]، وأخبر ﷻ أن ثوابه، وجنته لأهل الخشية والإنابة، قَالَ ﷻ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[ق:٣١-٣٣].

وأخبر ﷻ أن البشرى لأهل الإنابة، قَالَ ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾[الزمر:١٧]، وهي مانعة من العذاب، قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[الزمر:٥٤].

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، ١/ ٤٣٣، بتصرف.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/ ٥٠١.

المطلب الثالث: الضراعة إلى الله باتّقاء الفتنة، ومغفرة الذنوب.

لم يزل من عادة المؤمنين الصادقين أن يرفعوا أَكُفَّ الضراعة إلى الله ﷻ أن يهديهم صراطه المستقيم، فضلًا منه ونعمةً جَلَّ، وقد تضمنت سورة الممتحنة سلوكًا جليلًا لإبراهيم عليه السلام ومن معه، وهو ما ذكره الله ﷻ حكاية عنهم، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٥].

والفتنة هي: "اضطرابُ الحال وفساده، وهي اسم مصدر، فتجيء بمعنى المصدر، كقوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة:١٩١]، وتجيء وصفًا للمفتون والفاتن"[١].

ومعنى الفتنة يحتمل وجهين[٢]:

الأول: أن يتسلطوا عليهم فيفتنوهم عن دينهم، ويعذبوهم، كما قال جَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[البروج:١٠]، ويصدق أيضًا بأن تختل أمور دينهم بسبب الذين كفروا، أي بمحبتهم والتقرب منهم، كقوله تعالى حكاية عن دعاء موسى عليه السلام: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾[الأعراف:١٥٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا تسلِّطْهم علينا فيفتنونا.

الثاني: أن تكون فتنةٌ مصدرًا بمعنى اسم الفاعل، أي لا تجعلنا فاتنين، أي سبب فتنة للذين كفروا، بأن تقع على المؤمنين عقوبة من الله، أو منهم، فيظنوا أنهم على الحق وأن المؤمنين على الباطل، فيزدادوا كفرًا وطغيانًا، ويقولوا: لو كان هؤلاء على خيرٍ ودين، وكان الله راضيًا عنهم؛ ما أوقع فيهم هذه المصيبة، ولما سلطنا عليهم.

وعن مجاهد، في قوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: "لا تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حقٍّ ما أصابهم هذا"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤٧/٨.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣٢٠/٢٣، النكت والعيون، الماوردي، ٥١٨/٥، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٤٨، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٨٥٤.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣٢٠/٢٣.

ثم أعقب هؤلاء الصالحون دعواتهم التي تعود إلى إصلاح دينهم في الحياة الدنيا؛ بطلب ما يصلح أمورهم في الحياة الآخرة، وما يوجب رِضَى الله عنهم في الدنيا، فقالوا: ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ﴾ فإن رضاه ﷻ يُفضِي إلى عنايته بهم بتسيير أمورهم في الحياتين، ثم عللوا دعواتهم كلها بقولهم: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فإن التوكل والإنابة والمصير تناسب صفة العزيز؛ إذ مثله يعامل بمثل ذلك، وطلب أن لا يجعلهم فتنة باختلاف معانيه يناسب صفة الحكيم، وكذلك طلب المغفرة؛ لأنهم لما ابتهلوا إليه أن لا يجعلهم فتنة الكافرين وأن يغفر لهم، رأوا أن حكمته تناسبها إجابة دعائهم لما فيه من صلاحهم وقد جاؤوا يسألونه[١].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٤٨.

المبحث الثاني

توجيهات تربوية أخلاقية

إن الخُلق هو أبرز ما يراه الناسُ، ويُدركونه من سائر أعمال الإسلام؛ فالناس لا يرون عقيدةَ الشخص؛ لأن محلَّها القلبُ، كما لا يرون كلَّ عباداته، لكنهم يرَوْن أخلاقه، ويتعاملون معه من خلالها؛ لذا فإنهم سيُقيِّمون دِينَه بِناءً على تعامله، فيحكُمون على صحتِه من عدمه عن طريق خُلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله، وقد جاءت سورة الممتحنة بكثير من التوجيهات الأخلاقية التي من شأنها أن تشكل صورة ناصعة مشرقة عن المجتمع الإسلامي، وقد بيَّنْتُها في ستة مطالب كما يأتي:

المطلب الأول: النهي عن الإشراك بالله ﷻ[(١)].

كان أول بندٍ من بنود البيعة التي أخذها النبي ﷺ من النساء المؤمنات؛ هو بيعتهن على ألا يشركنَ بالله شيئًا، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ... فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الممتحنة:١٢]

وهذا البند هو الأساس الأكبر والمقوَّم الأول للعقيدة، وهو الضابط الذي ستنتظم عليه الحياة الاجتماعية الجديدة[(٢)]، وأول الضرورات الخمسِ التي جاءت الشريعة بحفظها: حفظُ الدين، وهو المُراد من النهي عن الشرك.

وقد جاءت سورة الممتحنة ناهيةً عن موالاة الكافرين والمشركين، والنهيُ عن الشرك يستلزمُ البراءة من الكافرين، ومعاداتهم، وتحقيقَ التوحيد الذي يرضاهُ الله ﷻ.

إن أعظمِ ما عُصِيَ الله ﷻ به؛ هو الشرك به ﷻ، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء:١١٦]، فيخبر ﷻ أنه لا يغفر لمن أشرك به أحدا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه، فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسبابًا كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم

---

(١) حقُّ هذا المطلب أن يُضافَ للتوجيهات العقدية؛ وقد أضفته هنا لأن التوجيهات الأخلاقية في السورة جاءت ضمن بنود البيعة، وتربع على عرشها: النهي عن الإشراك بالله، فأضفته هنا تبعًا.

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/٢٥٧.

القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة الشافعين، ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد، وهذا بخلاف الشرك؛ فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد[١].

وقد جاء الأنبياء والمرسلون إلى أقوامهم برسالة التوحيد، والنهي عن الشرك بالله ﷻ، فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]، وذمَّ الله ﷻ سفاهة أحلام المشركين، في عُدولهم عن عبادته إلى عبادة غيره ممن لا يخلق، ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا، فقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الأعراف:١٩١].

وقد ذمَّ النبي ﷺ الشرك لما سأله عبد الله بن مسعود ﷺ: أي الذنب أعظم؟، قال: **(أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك)** قال: قلت له: إن ذلك لعظيم.. الحديث)[٢].

المطلب الثاني: حرمةُ السرقة.

تضمن البند الثاني من بنود البيعة؛ النهي عن السرقة، ﴿... وَلَا يَسْرِقْنَ ...﴾[الممتحنة:١٢]، والناظرُ المتأمل في هذا النهي الجازم عن السرقة، يلحظ أنَّه جاء لإقامة مقصدٍ مهم من مقاصد الشريعة، وضرورة من الضرورات الخمس، وهي حفظ المال، لأن السارق باعتدائه على أموال الناس بغير حقٍّ وإتلافها؛ يهدم ولا يبني، ويأخذ ولا يعطي، ويشكل عائقًا أمام قوة الاقتصاد وازدهاره في الدولة المسلمة.

والسرقة جريمةٌ شنيعة ذمَّها الله ﷻ وجعل لها عقوبةً تُناسبُها، فقال ﷻ: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة:٣٨]، فنكل الله ﷻ بِالْقطعِ فِي سَرِقَة أَمْوَال النَّاس؛ وَالله عَزِيز فِي انتقامه من السَّارِق، حَكِيم فِيمَا أوجبه من قطع يَده، وقد عدَّها الإمام الذهبي الكبيرة الثالثة والعشرين، ونقل شيخ الإسلام ابن حجرٍ اتفاقَ العلماء على ذلك.[٣]

وقد لعن النبي ﷺ السارق؛ لأنه يتعدى على أموال الناس، ويتلف أموالهم بسرقتها، فقال:

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ١٨١.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان، كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده، ١/ ٩٠، رقم الحديث: ١٤١.

(٣) انظر: الكبائر، الذهبي، ص: ٩٧، الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ٢/ ٢٣٨.

(لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده)[١].

والمرادُ: التنبيه على عظيم ما خسر وهي يده، في مقابلة حقيرٍ من المال وهو ربع دينار، فإنه يشارك البيضة والحبل في الحقارة، أو أنه أراد جنسَ البيض وجنس الحبال، أو أنه إذا سرق البيضة فلم يُقطع؛ جره ذلك إلى سرقة ما هو أكثر منها فقطع، فكانت سرقة البيضةِ هي سبب قطعه ابتداءً[٢].

وقد كان قطع يد السّارق معمولًا به في الجاهليّة، فقرّر في الإسلام وزيدت شروط أخر[٣]، وقيل: إنّ أوّل من قطع الأيدي في الجاهليّة قريش، فقطعوا رجلًا كان سرق كنز الكعبة[٤].

المطلب الثالث: النهي عن الزنا.

قد تقدَّم في المطلبين السابقين الحديثُ عن النهي عن الشرك بالله، وهو ما يعني حفظ الدين، والحديث حرمة السرقة، وهو حفظ المال، وهما من مقاصد الشريعة، وضروراتها الخمس.

وفي هذ المطلب نُثلِّثُ بمقصدٍ مُهِمٍّ من مقاصد الشريعة، وهو حفظ النسل، وصيانةُ الأنساب من الاختلاط، متمثِّلًا بالنهي عن الزنا في بيعة النساء، قال ﷻ: ﴿... **وَلَا يَزْنِينَ**...﴾ [الممتحنة:١٢].

والزنا فيه إضاعةٌ للأنساب، وانتهاكٌ للحرمات، وإشعالٌ للعداوة والبغضاء بين الناس، من إفساد كل منهم امرأة صاحبه، أو ابنته، أو أخته، وفي ذلك فسادٌ عظيمٌ.

والزنا يجمع خِلال الشر كلها من قلة الدين، وذهاب الورع، وانعدام الحياء[٥]، ولهذا أخذ النبي ﷺ من أصحابه البيعة ألا يقتربوا من هذه الفاحشة المنكرة، فقال وحوله عصابة من أصحابه: **(تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف ... الحديث)**[٦].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، الحدود، لعن السارق إذا لم يسم، ٨/ ١٥٩، رقم الحديث: ٦٧٨٣.

(٢) انظر: شرح صحيح مسلم، النووي، ١١/ ١٨٣.

(٣) للاستزادة حول هذه الشروط؛ انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٥٩/٦، الملخص الفقهي، صالح الفوزان، ٥٥٠/٢.

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠٧/٣.

(٥) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، نخبة من العلماء، ١٠/ ٤٥٨٣.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار، وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة، ٥/ ٥٥ن رقم الحديث: ٣٨٩٢.

ولما بايع رسول الله ﷺ هندَ بنت عتبة[١]، قالت: يا رسول الله، أوَ تزني الحرّة[٢]، لأن الزنا عند العرب كان في الإماء والجواري دون الحرائر في الأعم الغالب.

إن الزنا من أعظم الذنوب بعد الشرك بالله ﷻ، فقد قرنه الله ﷻ بالشرك، وقتل النفس، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾[الفرقان:٦٨].

وكانت فاحشة الزنا منتشرةً في الجاهلية؛ فعن عائشة، زوج النبي ﷺ: (أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء:

فنكاحٌ منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته، فيُصدقها ثم ينكحها.

ونكاحٌ آخر: كان الرجلُ يقولُ لامرأتِه إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدًا، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع.

ونكاح آخر: يجتمع الرهطُ ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت، ومر عليها ليالٍ بعد أن تضع حملها، أرسلت إليهم، فلم يستطع رجلٌ منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

ونكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن راياتٍ تكون علمًا، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاط[٣] به، ودعي ابنه، لا

---

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بْن عبد مناف، أم معاوية، أسلمت عام الفتح بعد إسلام زوجها أبي سُفْيَان بْن حرب، فأقرهما رَسُول اللَّهِ ﷺ عَلَى نكاحهما، وكانت امرأة لَهَا نفس وأنفة، شهدت أحدًا كافرة مَعَ زوجها أبي سُفْيَان بْن حرب، وتوفيت هند بنت عتبة فِي خلافة عُمَر بْن الْخَطَّابِ فِي اليوم الَّذِي مات فيه أَبُو قحافة والد أبي بكر الصديق ﷺ. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر المالكي (٤/ ١٩٢٣.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي، مسند عائشة، ٨/ ١٩٤، رقم الحديث: ٤٧٥٤، قال حسين أسد: إسناده ضعيف.

(٣) فالتاط به: أي التصق به والتحق، انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٢٢١.

يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق، هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم)[1].

ولما حرم الله ﷻ الزنا؛ حرم الأسباب التي تؤدي إليه، ومن أعظمها: إطلاق البصر، قال ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور:٣٠]، وكذلك التبرج والسفور، قال ﷻ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[الأحزاب:٣٣].

المطلب الرابع: حُرمةُ قتل الأولاد.

إن الفطرة التي فطر الله الناس عليها إلا مَنْ شطَّ مِن الشواذ، أن أودع في قلوب الوالدين محبة الولد والشفقة عليه والحزن على فراقه، فهذا يعقوب عليه السلام يقول : ﴿يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[يوسف:٨٤].

وقد بايع النبي ﷺ النساء على ألا يقتلن أولادهنَّ، ﴿..وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ..﴾[الممتحنة:١٢]، وهذا فيه حفظٌ لمقصد مهم، وضرورة من الضرورات الخمس؛ وهو حفظ النفس من القتل، والاعتداء عليها من غير وجه حقٍّ.

قال ابن عاشور: "وأسند القتل إلى النساء وإن كان بعضه يفعله الرجال؛ لأن النساء كنَّ يرضين به أو يسكتن عليه"[2].

والنهي عن قتل الأولاد متصلٌ بعادة وأدِ البنات على ما ذكره المفسرون، وقد كان بعضُ النساء إذا ما ولدن بنتًا يخنقنها حال ولادتها سخطًا، وكراهيةَ ولادةِ البناتِ، وتفاديًا من غضب أزواجهن، وقد ندد القرآن بهذه العادة الشنيعة، فقال ﷻ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾[التكوير:٨، ٩]، وقال أيضًا: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[النحل:٥٨، ٥٩][3].

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، النكاح، من قال لا نكاح إلا بولي، ٧/ ١٥، رقم الحديث: ٥١٢٧.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٨/ ١٦٦.

(٣) انظر: التفسير الحديث، عزت دروزة، ٩/٢٩٠.

ولما بايع رسول الله ﷺ هندَ بنت عتبة قالت: ربيناهم صغارًا، وقتلتموهم كبارًا، وأنتم أعلم بهم[١]، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قد قتل يوم بدر، فضحك عمر ﷺ حتى استلقى، وتبسّم رسول الله ﷺ، ولم يغضب من قولها، وهذا من سعة حلمه ﷺ[٢].

وقد كان بعض الناس في جاهليتهم يقتلون أولادهم خشية الفقر، ويئِدون بناتهم خشية العار، فنهى الله ﷻ عن هاتين الخصلتين الذميمتين، فقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام:١٥١]، وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[الإسراء:٣١].

قال ابن كثير: " هذه الآية الكريمة دالة على أن الله ﷻ أرحم بعباده من الوالد بولده؛ لأنه ينهى عن قتل الأولاد، كما أوصى بالأولاد في الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته، فنهى الله ﷻ عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ أي: خوف أن تفتقروا في ثاني الحال؛ ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ ".[٣]

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه سأل رسول الله ﷺ: أي الذنب أعظم؟، قال: **(أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك)** قال: قلت له: إن ذلك لعظيم، قال: قلت: ثم أي؟ قال: **(ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك)** ... الحديث)[٤].

وقوله: **(أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك)**، أي: "من جهة إيثار نفسه عليه عند عدم ما يكفي، أو من جهة البخل مع الوجدان"[٥].

والولد مهجة القلب، وثمرة الفؤاد، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **(إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ**

---

(١) انظر: معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصفهاني، ٦/ ٣٤٦١.

(٢) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٨/ ١٠١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٥/ ٧٢.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان، كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده، ١/ ٩٠، رقم الحديث: ١٤١.

(٥) تحفة الأحوذي، المباركفوري، ٩/ ٢٨.

الحَمْدِ)[1].

المطلب الخامس: النهيُ عن البُهتان المُفترَى.

قد بيَّنتُ في المطالب السابقة، مبايعة النبي ﷺ النساءَ على ألا يشركن بالله شيئًا، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن اولادهن، وكانت هذه النواهي بمثابة الضرورات التي جاءت الشريعة بحفظها، وهي: حفظ الدين، والمال، والنسل، والنفس، وأبيِّنُ في هذا المطلب المقصد الأخير: وهو حفظ العقل، وقد بايع النبي ﷺ النساء على ألا يأتين ببهتان يفترينه، قال ﷻ: ﴿... وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ....﴾[الممتحنة:١٢].

والبهتانُ المُفترى: كذبٌ مختَلَقٌ يبهت سامعه ويدهشه ويحيره لفظاعته[2]، وهو أشدُّ الكذبِ الذي يُتحيرُ من عِظَمِه وبيانه [3]، كما قال ﷺ: **(إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ)**[4].

والمُراد بالبهتان هنا: أن تُدخَل المرأة على زوجها من ليس من ولده، أو أنها لا تحمل؛ فتدعي أنها حملت وولدت، فتنسب ولد غيرها إليها، وإلى زوجها[5].

وقد ذهب كثيرٌ من المفسرين أن عمومَ الكلام المختلقِ، والكذبَ، والإفكَ داخلٌ في البهتان المُفترَى[6].

ويرى الباحثُ أنَّ هناك ارتباطًا بديعًا بين النهي عن البُهتان المفترَى، وبين حفظ العقل الذي هو مقصدٌ من مقاصد الشريعة؛ لأن الإنسان إذا ألِفَ البهتان والكذب والإفك والباطل، فَسَد عقله، وضل رأيه، فيألفُ الخطأ والضلال والباطل، ولا يعرف الحق إلى عقله وقلبه سبيلًا، فيصير كالأنعام بل هو أضل.

---

(١) سنن الترمذي، الترمذي، الجنائز، فضل المصيبة إذا احتسب، ٣/ ٣٣٢، رقم الحديث: ١٠٢١، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ١٩٩.

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي ص: ٨٤، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ١٤٨.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ١٠٣/٢.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، البر والصلة والآداب، تحريم الغيبة، ٤/ ٢٠٠١، رقم الحديث: ٢٥٨٩.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ١٠٠، الدر المنثور، السيوطي، ١٤١/٨.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٦٦/٢٨.

ولما كان عقلُ الإنسان وعاءً خُلِقَ لِيُملأ؛ فإذا لمْ يُبادَر بالخيرِ، بادره الشيطان بالشر والبهتان والإفك، كان لا بدّ من مَلْئِهِ بالوحي حتى يعطي لصاحبه الحقَّ ويدله عليه[1]، فكان من المناسبة الحسنة أن يأتي بعد النهيِ عن البهتان الأمرُ بطاعة النبي ﷺ حتى يُملأ العقل بنور الوحي.

المطلب السادس: الأمرُ بطاعة النبي ﷺ.

لمّا خصَّ الله ﷻ النواهي السابقةَ بالذكر لخطر شأنها، وعِظَمِ جُرمها؛ عمَّمَ النهي بقوله ﷻ: ﴿... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ...﴾[الممتحنة:١٢]، والمعروف: هو ما لا تنكره النفوس، والمراد هنا: المعروف في الدين.

والتقييد بالمعروف؛ إما لمجرد الكشف، لأن النبي ﷺ لا يأمر إلا بالمعروف، وإما لقصد التوسعة عليهن في أمر لا يتعلق بالدين، كما فعلت بريرة إذ لم تقبل شفاعة النبي ﷺ في إرجاعها زوجها مغيثًا، إذ بانت منه بسبب عتقها وهو رقيق[2].

وقال بعضُ المفسرين: ﴿... وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ...﴾ أي: في كل أمر وافق طاعة الله، وفي كل أمر فيه رشدهن[3]، ومن هنا أخذ عليهنَّ النبي ﷺ ألا يَنُحْنَ.

ولما بايَع النبي ﷺ هند بنت عتبةَ على ألا تعصي في معروف، قالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء[4].

ومن طريف ما يُذكر في هذا الباب ما روته أم عطية -رضي الله عنها-، قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿... أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا...﴾[الممتحنة:١٢]، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأةٌ يدها، فقالت: أسعدتني[5] فلانة، أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئًا، فانطلقت ورجعت، فبايعها.[6] قال ابن عاشور: "وهذه رخصة خاصة بأم عطية وبمن سَمَّتْهُم"[7].

---

(١) انظر: أسطر من النقل والعقل والفكر، عبدالعزيز الطريفي، ص: ٢٤٦.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٦٧، بتصرف.

(٣) انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ٨/ ١٠١،

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٦٧، بتصرف.

(٥) أسعدتني، أي: قامت معي في نياحة لي، انظر: الفائق في غريب الحديث، الزمخشري، ٢/ ١٧٨.

(٦) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن، قوله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[الممتحنة:١٢]، ٦/١٥٠، رقم الحديث: ٤٩٢.

(٧) التحرير والتنوير، ٢٨/ ١٦٧.

المبحث الثالث

الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية التعبدية والأخلاقية.

إن المدخل الصحيح إلى قلوب الناس ومسامعهم؛ هو الأسلوب الذي يسلكه المتكلم في بثِّ أفكاره ودعوته؛ ولم تعرف البشرية أسلوبًا بديعًا كأسلوب القرآن الكريم، وقد جاءت التوجيهات التربوية التعبدية والأخلاقية في سورة الممتحنة بأساليب مهمة، إليك بيانها في مطلبين اثنين، كما يأتي:

المطلب الأول: أسلوب الدعاء.

وفي هذا المطلب ثلاث نقاط، كما يأتي:

أولًا: معنى الدعاء لغةً واصطلاحًا:

أ. **لغة:** "الدال والعين والحرف المعتل أصل واحدٌ، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوتُ أدعو دعاءً"[1]، ودعوت فلانًا، أي: صِحْتُ به واسْتَدْعَيْتُهُ، ودَعَوْتُ الله له وعليه دُعاءً، والدُعاءُ: واحد الأدْعِيَةِ[2]، ودعا بالكتاب، أي طلب إحضاره، واستحضره[3]، "والدَّعوةُ إلى الطعام بالفتح، والدِّعوة في النسب بالكسر"[4]، وكلها معانٍ متقاربةٌ.

ب. **اصطلاحًا:** الطلب على وجه الخضوع والتضرع، نحو قولك: رب اغفر لي، ويكون من الأدنى إلى الأعلى منزلةً[5].

ثانيًا: معاني الدعاء في القرآن:

انفرد القرآن الكريم بمعانٍ للدعاء لم ترد في كلام الناس، وجُلُّها من المجاز، كالعبادة، لأن الدعاء بمعنى النداء لله ﷻ يلزمه الانقياد والطاعة، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[غافر: ٦٠]، فسمى الله ﷻ الدعاء عبادةً.

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٧٩.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٦/ ٢٣٣٧.

(٣) انظر: أساس البلاغة، الزمخشري، ١/ ٢٨٨.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢٧٩.

(٥) انظر: مواهب الفتاح بشرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، ٢/٣٢٠.

والدعاء الذي يستعمل عبادةً يأتي على ثلاثة أوجه:

أحدها: توحيده والثناء عليه، كقولك: يا الله لا إله إلا أنت، وكقولك: ربنا لك الحمد، إذا قلته فقد دعوته بقولك ربنا، ثم أتيت بالثناء والتوحيد.

والثاني: مسألة الله العفو والرحمة وما يقرب منه، كقولك: اللهم اغفر لنا.

والثالث: مسألة الحظ من الدنيا كقولك: اللهم ارزقني مالًا وولدًا، وإنما سُمِّي هذا جميعه دعاءً؛ لأن الإنسان يصدر في هذه الأشياء بقوله يا الله يا رب يا رحمن [1].

والدعاء الذي ورد في سورة الممتحنة يرادُ به دعاء العبادة، وهو من النوع الثاني، قال ﷻ: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٥، ٦].

فإن الصالحين من عباد الله ﷻ لمَّا قدموا بين يدي سؤالهم ودعائهم ورجائهم ثناءهم عليه ﷻ، وتوكلهم وإنابتهم؛ ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، أتبعوه بطلبهم ودعائهم، وصرحوا به، فقالوا داعين بإسقاط أداة النداء، للدلالة على غاية قربه ﷻ بما له من الإحاطة:﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

ويأتي الدعاء بمعنى الاستفهام والسؤال، كقوله ﷻ: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[يونس:٢٢]، أي: سألوا[3]، ويأتي كذلك بمعنى القول، قال ﷻ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾[يونس:١٠]، أي: قولهم[4]، وغيرها من معاني الدعاء.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ٢٥٧، بتصرف.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/ ٥٠٢.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:٣١٥.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، ٢/ ٦٠١.

ثالثًا: أسلوب الدعاء في القرآن، ووردها في سورة الممتحنة:

يأتي الدعاء في القرآن بأساليب إنشائيةٍ عديدة، إذ إنه في الأصل صورةٌ من صور الإنشاء الطلبي، فهو من المعاني التي يخرج عنها الأمر[1].

وقد جاء الدعاء في القرآن بأسلوب الخبر، ومن أمثلته ما ورد في سورة الممتحنة: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾[الممتحنة:٤]، وجاء أيضًا بأسلوبي الطلب والنهي؛ وهما الواردان في دعاء سورة الممتحنة: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[الممتحنة:٥].

ويأتي الدعاء بأسلوب الاستفهام، كقوله ﷻ حكاية عن موسى عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾[الأعراف:١٥٥]، قال أبو حيَّان: "هذا استفهامٌ على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطافٍ وتذلُّلٍ"[2].

وأكثر أساليب الدعاء ورودًا في القرآن؛ أسلوب الأمر، يليه، النهي، ثم الخبر، وأقلُّها الدعاءُ بأسلوب الاستفهام[3].

---

(١) انظر: الدعاء في القرآن الكريم، أساليبه، مقاصده، وأسراره، بهيّة اللحياني، ص:٣٠.

(٢) البحر المحيط في التفسير، ٥/ ١٨٩.

(٣) انظر: الدعاء في القرآن الكريم، أساليبه، مقاصده، وأسراره، بهيّة اللحياني، ص:٤٢.

المطلب الثاني: أسلوب الأمر والنهي.

وفي هذا المطلب خمس نقاط كما ياتي:

أولًا: معنى الأمر لغة واصطلاحًا:

أ. **لغة:** الأمر يأتي بمعنى الشأن، والطلب[١]، والهمزة والميم والراء أصولٌ خمسةٌ: الأمرُ من الأمور، والأمر ضد النهي، والأمَر النماء والبركة بفتح الميم، والمعلم، والعجب[٢].

ب. **اصطلاحًا:** هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء، والاستعلاء: عدُّ الآمر نفسه عاليًا؛ سواء كان عاليًا في الواقع أم لا[٣].

ثانيًا: معنى النهي لغة واصطلاحًا:

أ. **لغة:** النهي خلاف الأمر، ونَهَيْتُهُ عن كذا فانْتَهى عنه وتَناهى، أي كَفَّ[٤]، وهو الزّجر عن الشيء[٥].

ب. **اصطلاحًا:** هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء، وليس له إلا صيغة واحدة، هي: المضارع، مع لا الناهية، ومدلوله طلبُ الكفّ عن الفعل فورًا، كما يستفاد من تتبع فصيح التراكيب[٦].

ثالثًا: أغراض الأمر ومعانيه في سورة الممتحنة:

جاء الأمر في القرآن يدل على أغراض كثيرة، ومعانٍ متعددة، وقد ورد في سورة الممتحنة عدة أوامر؛ منها ما يكون حقيقيًا –وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام–، كقوله ﷻ: ﴿**فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾[الممتحنة:١٠]، وقوله ﷻ: ﴿**وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ**﴾[الممتحنة:١٠]، ويأتي الأمر للإباحة والجواز، كقوله ﷻ: ﴿**وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ**﴾[الممتحنة:١٠]، ويأتي للندب، كقوله ﷻ: ﴿**فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ**﴾[الممتحنة:١٢]، وقوله ﷻ: ﴿**فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ**﴾[الممتحنة:١١]، ويأتي للنصح والإرشاد، كقوله ﷻ: ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ**﴾

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص:٨٩.

(٢) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ١/ ١٣٧.

(٣) انظر: علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٧٥.

(٤) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٦/ ٢٥١٧.

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص: ٨٢٦.

(٦) انظر: علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي، ص: ٧٩.

[الممتحنة:١١]، ويأتي للدعاء، كقوله ﷻ: ﴿ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآ﴾ [الممتحنة:٥]، إلى غير ذلك من الأغراض التي وردت في سور القرآن الكريم[١].

رابعًا: أغراض النهي ومعانيه في سورة الممتحنة:

الأصل في النهي أن يكون على سبيل الجزم، كقوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾[الممتحنة:١]، وقد يخرج عن هذا المعنى إلى معانٍ مجازية كثيرةٍ، منها؛ ما يكون بمعنى الدعاء، كقوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[الممتحنة:٥].

وقد يأتي النهي دالًّا على التحريم، كقوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ﴾[الممتحنة:١٠]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ﴾[الممتحنة:١٠]، **قال الباحث:** ويجوز أن يكون للتنفير منهنَّ.

ويأتي النهي أيضًا بمعنى التحذير، كقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾[الممتحنة:١٣][٢]، وكل هذه نواهٍ وردت في سورة الممتحنة التي هي محل البحث والدراسة، إلى غير ذلك من الأغراض التي وردت في سور القرآن الكريم[٣].

خامسًا: بين الأمر والنهي:

يتفق الأمر والنهي في أنّ كل واحد منهما لا بدّ فيه من اعتبار الاستعلاء، وأنّهما يتعلقان بالغير، فلا يمكن أن يكون الإنسان آمرًا لنفسه أو ناهيًا لها، وأنّهما لا بدّ من اعتبار حال فاعلهما في كونه مُريدًا لهما.

ويفترقان في أنّ كل واحد منهما مختص بصيغة تخالف الآخر، وأنّ الأمر دالٌّ على الطلب، والنهيَ دالٌّ على المنع[٤].

---

(١) انظر: أساليب بلاغية، أحمد الرفاعي، ص:١١٣.

(٢) انظر: أساليب بلاغية، أحمد الرفاعي، ص:١١٦.

(٣) للاستزادة، انظر: أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، عبدالله الأنصاري.

(٤) انظر: أساليب بلاغية، أحمد الرفاعي، ص:١١٦.

الفصل الثالث

توجيهات تربوية سلوكيةٌ واجتماعيةٌ وفكريةٌ

المبحث الأول

توجيهات تربوية سلوكية

إن سورة الممتحنة جاءت بحياةٍ جديدة تقوم على أساس العقيدة الصحيحة الراسخة، وكان الجانب السلوكي جانبًا مهمًّا من جوانب هذه الحياة، فهو يحمل في طياته كثيرًا من التوجيهات السلوكية التي ترتقي بالفرد والمجتمع، ليكون إنسانًا صالحًا يليق بالدولة المُسلمة، وقد تناول هذا المبحث بعض التوجيهات السلوكية التي جاءت بها السورة، وقد بيَّنْتُ ذلك في أربعة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: التماس العذر، وإنزال الناس منازلهم.

وفي هذا المطلب نقطتان كما يأتي:

أولًا: التماس العذر.

إن الإنسان مجبولٌ على أنواع من القصور، وصنوف من التقصير، لا يخلو منها بشر كائن من كان، إلا من عصمه الله من الأنبياء والرسل، ومن يسر الله له اليسرى في الأخلاق والمعاملة، ما يدخل في عموم قول النبي ﷺ: **(كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، فَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)**[١].

والخطأ وصف ملازم للإنسان، لا ينفك عنه، ولذلك كان أصل محاسن الأخلاق، والقاعدة الكبرى التي يتحقق للإنسان بها حسن الخلق؛ التماس العذر، وحسن الظن بالناس.

وقد كان من عادةَ النبي ﷺ أنه يلتمس الأعذار لأصحابه، فهذا حاطب بن أبي بلتعة ﷺ كما ورد في سبب نزول السورة[٢]، يعتذرُ للنبي ﷺ، ويقبل النبيُّ ﷺ عذره، ويُثني عليه، وإنّك لتعجب أول ما تعجب من فِعلةِ حاطب؛ وهو المسلم المهاجر، وهو أحد الذين أطلعهم رسول الله ﷺ على سر الحملة، وفيها ما يكشف عن منحنيات النفس البشرية العجيبة، وتَعرُّضِ هذه النفس لِلَحظات الضعف البشري، مهما بلغ من كمالها وقوتها، وأن لا عاصم إلا الله من هذه اللحظات، فهو الذي يعين عليها.

ثم يقف الإنسان مرة أخرى أمام عظمة الرسول ﷺ، وهو لا يعجل حتى يسأل: **(ما حملك على ما صنعت)** في سَعة صدر وعطف على لحظة الضعف الطارئة في نفس صاحبه، وإدراك مُلهِم بأن

---

(١) المسند، أحمد بن حنبل، مسند أنس بن مالك ﷺ، ٢٠/ ٣٤٤، رقم الحديث: ١٣٠٤٩، قال الألباني: حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ٢/ ٨٣١.

(٢) انظر: (أسباب نزول السورة) من هذه الدراسة، ص:١٣.

الرجل قد صدق، ومن ثم يكف الصحابة عنه: **(صدق، لا تقولوا إلا خيرًا)**، ليعينه وينهضه من عثرته، فلا يطارده بها، ولا يدع أحدًا يطارده، بينما نجد الإيمان الجاد الحاسم الجازم في شدة عمر: (إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلأضرب عنقه)، فهو ﷺ إنما ينظر إلى العثرة ذاتها، فيثور لها حسه الحاسم وإيمانه الجازم، أما رسول الله ﷺ فينظر إليها من خلال إدراكه الواسع الشامل للنفس البشرية على حقيقتها، ومن كل جوانبها، مع العطف الكريم الملهم الذي تنشئه المعرفة الكلية، في موقف المربي الكريم العطوف المتأني الناظر إلى جميع الملابسات والظروف.

ثم يقف الإنسان أمام كلمات حاطب، وهو في لحظة ضعفه، ولكن تصوره لقدر الله وللأسباب الأرضية؛ هو التصور الإيماني الصحيح، ذلك حين يقول: (أردت أن تكون لي عند القوم يد، يدفع الله بها عن أهلي ومالي)، فالله هو الذي يدفع، وهذه اليد لا تدفع بنفسها، إنما يدفع الله بها، ويؤكد هذا التصور في بقية حديثه وهو يقول: (وليس أحدٌ من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله)، فهو الله حاضر في تصوره، وهو الذي يدفع لا العشيرة، إنما العشيرة أداة يدفع الله بها، ولعل حس رسول الله ﷺ الملهم قد راعى هذا التصور الصحيح الحيَّ في قول الرجل، فكان هذا من أسباب قوله ﷺ: **(صدق، لا تقولوا إلا خيرًا)**.

وأخيرًا: يقف الإنسان أمام تقدير الله في الحادث، وهو أن يكون حاطب من القلة التي يعهد إليها رسول الله ﷺ بسر الحملة، وأن تدركه لحظة الضعف البشري، وهو من القلة المختارة، ثم يجري قدر الله بكف ضرر هذه اللحظة عن المسلمين، كأنما القصد هو كشفها فقط وعلاجها، ثم لا يكون من الآخرين الذين لم يعهد إليهم بالسر اعتراضٌ على ما وقع، ولا إبداءٌ بالقول: ها هو ذا أحد من استودعوا السر خانه، ولو أودَعَنَاهُ نحن ما بُحنا به، فلم يَرِد من هذا شيءٌ، مما يدل على أدب المسلمين مع قيادتهم، وتواضعهم في الظن بأنفسهم، واعتبارهم بما حدث لأخيهم[1]، وهذه هي التربية الإيمانية العظيمة التي تربّى عليها المؤمنون السابقون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وقد أثنى عليها ربنا ﷻ في قوله: ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾[النور:١٢]، أي: ظن المؤمنون بعضهم ببعض خيرًا، وهو السلامة مما رُمُوا به، وأن ما معهم من الإيمان المعلوم، يدفع ما قيل فيهم من الإفك الباطل، ﴿وَقَالُواْ﴾ بسبب

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢٤٨/٦.

ذلك الظن: ﴿هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ أي: كذب وبهت، من أعظم الأشياء، وأبينها، فهذا من الظن الواجب، حين سماع المؤمن عن أخيه المؤمن، مثل هذا الكلام، أن يبرئه بلسانه، ويكذب القائل لذلك[(١)]، وهذا جماع التماس العذر وحسن الظن.

وقد رُوِيَ في سبب نزول هذه الآية؛ أن أبا أيوب الأنصاري ﵁ قال لأم أيوب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا : ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءًا؟ قال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة رضى الله عنها ما خنت رسول الله ﷺ، فعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا خيرٌ مني، وصفوان خيرٌ منك[(٢)].

وقد ألهمت أم أيوب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بنور الإيمان إلى هذا السر الذي انطوى عليه التعبير عن الغير من المؤمنين بالنفس، فإنها أنزلت زوجها منزلة صفوان ﵁ ونفسها منزلة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا ، ثم أثبتت لنفسها ولزوجها البراءة والأمانة، حتى أثبتتها لصفوان ﵁ وعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بالطريق الأولى[(٣)].

وقد سطَّر النبي ﷺ أروع مثالٍ في التماس العذر لأصحابه، فقد أمر ﷺ بالصدقةِ، فقيلَ: مَنَعَ ابن جميلٍ وخالدُ بن الوليد وعباسُ ابن عبدِ المطلبِ، فقال النبيُّ ﷺ: **(ما يَنقِمُ ابنُ جميلٍ إلا أنه كانَ فقيراً فأغناهُ الله ورسولُه، وأَمَّا خالدٌ فإنكمْ تَظلِمون خالداً؛ قدِ احتَبَسَ أدراعَه وأعتُدَه في سبيل الله، وأمَّا الْعباسُ بنُ عبدِ المطلبِ فعمُّ رسولِ الله ﷺ، فهيَ عليه صدقة، ومثلُها معها)**[(٤)].

فانظر كيف تأوَّل النبي ﷺ لخالدٍ، والتمس له عذرًا في عدم إخراجه الزكاة، وذلك أنه سمى وصفهم لخالد بمانع الزكاة بالظلم: **(تظلمون خالدًا)**، لأنه إذا حبس ماله تطوُّعًا؛ فأحرى أن لا يمنع الواجب[(٥)].

إن الذي يمنع الناس من التماس العذر لبعضهم، هو سوء الظن، وقد نهى القرآن الكريم عنه،

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص:٥٦٣.

(٢) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، ٣/ ٢١٨.

(٣) انظر: التفسير الوسيط، طنطاوي، ١٠/ ٩٦.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن، قول الله ﷻ: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦٠]، ٢/ ١٢٢، رقم الحديث: ١٤٦٨.

(٥) انظر: المعلم بفوائد مسلم، محمد بن علي المالكي، ٢/ ١٠.

فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ﴾[الحجرات:١٢].

قال ابن كثير: "يقول ﷻ ناهيًا عباده المؤمنين عن كثيرٍ من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثيرٌ منه احتياطًا"(١).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: "ولا تظنَّنَ بكلمةٍ خرجت من أخيك المسلم إلا خيرًا، وأنت تجدُ لها في الخيرِ مَحمَلًا"(٢).

وقد شجّع القرآن على ما يكون سببًا في أن يلتمس الناس العذر لبعضهم، وهو القول الحسن؛ فقال ﷻ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾[الإسراء:٥٣].

وهذا أمرٌ من الله ﷻ لعباده أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنه إذ لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته(٣).

ومن أحسن ما يعينُ على التماس العذر في مثل هذه المقامات؛ عدمُ التفتيش عن سيئات الناس، والنظر في السبب الحامل على ما يوجب العذر، وكذلك النظر للمبتلى بما يوجب العذر – من معصيةٍ وغيره– بعين الرحمة، والدعاء والاستغفار له، وعدم ازدرائه، والاعتبار بحاله(٤).

ثانيًا: إنزال الناس منازلهم.

إن من أهم ما جاءت به سورة الممتحنة من توجيهات؛ هو إنزال الناس منازلهم، وأصل هذا الباب؛ ما أخبر به النبي ﷺ عند قبوله عذرَ حاطبٍ، لمّا استأذن عمر في قتله: **(إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)**(٥).

وهذا هو المانع له ﷺ من قتلِ من جسَّ عليه وعلى المسلمين خطأً وغفلةً، وارتكب مثل ذلك

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٧/ ٣٧٧.

(٢) المتفق والمفترق، الخطيب البغدادي، ١/ ٣٠٥.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٨٧.

(٤) انظر: العقوبات؛ زاجرات جابرات، لا كاسرات، زكريا شحادة، ص:٧٨.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، الجهاد والسير، الجاسوس، / ٦٠، رقم الحديث: ٣٠٠٧.

الذنب العظيم، فأخبر ﷺ أنه شهد بدرًا، فدلَّ على أن مقتضى عقوبته قائم، لكن منع من ترتب أثره عليه ما له من المشهد العظيم، فوقعت تلك السقطة العظيمة مغتفرةً في جنب ما له من الحسنات[١].

قال ابن حجر: "وقد نقل الطحاوي الإجماع على أن الجاسوس المسلم لا يباح دمه، وقال الشافعية والأكثر: يُعزَّرُ، وإن كان من أهل الهيئات يُعفَى عَنْهُ"[٢].

وقد قال ﷺ: **(أَقِيلُوا ذَوِي الهيئاتِ عَثَرَاتِهِم؛ إلا الحُدُودَ)**[٣]، أَي: أهل المروءة والخلال الحميدة، الَّتِي تأبى عَلَيْهِم الطباع، وتجمح بهم الإنسانية والأنفة أَن يرْضوا لأَنْفُسِهِمْ بِنِسْبَة الشرّ إِلَيْهَا، **(عثراتهم)**، أَي: ارْفَعُوا عَنْهُم الْعقُوبَة على زلاتهم فَلَا تؤاخذوهم بهَا، **(إِلَّا الْحُدُود)**، إِذا بلغت الإِمَام، وَإِلَّا حُقُوق الْآدَمِيّ، فإِنّ كلًّا مِنْهُمَا يُقَام، إِذ المأمور بِالْعَفو عَنهُ هفوة أَو زلَّة لَا حدّ فِيهَا[٤].

وقال ﷺ أيضًا: **(تَجَافَوْا عَنْ عُقُوبَةِ ذِي الْمُرُوءَةِ، وَهُوَ ذُو الصَّلَاحِ)**[٥].

وقال سعيد بن المسيب: "ليس من عالمٍ ولا شريفٍ ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيب، ولكن من كان فضله أكثر من نقصه؛ ذهب نقصه لفضله، كما أن من غلب عليه نقصانه ذهب فضله"[٦].

وقال ابن تيميّة: "إنَّ الرَّجُلَ الْجَلِيلَ الَّذِي لَهُ فِي الْإِسْلَامِ قَدَمٌ صَالِحٌ وَآثَارٌ حَسَنَةٌ، وَهُوَ مِنْ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ بِمَكَانَةٍ عُلْيَا قَدْ تَكُونُ مِنْهُ الْهَفْوَةُ وَالزَّلَّةُ هُوَ فِيهَا مَعْذُورٌ، بَلْ مَأْجُورٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَّبَعَ فِيهَا مَعَ بَقَاءِ مَكَانَتِهِ وَمَنْزِلَتِهِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ"[٧].

وقال تلميذه ابن القيم: " فإنه يعفى للمحب، ولصاحب الإحسان العظيم، ما لا يعفى لغيره، ويسامح بما لا يسامح به غيره، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– يقول: انظر إلى موسى عليه السلام رمى الألواح التي فيها كلام الله عز وجل، الذي كتبه بيده، فكسرها، وجر بلحية نبي مثله،

---

(١) انظر: العقوبات؛ زاجرات جابرات، لا كاسرات، زكريا شحادة، ص:١٧.

(٢) فتح الباري، ١٢/ ٣١٠.

(٣) سنن أبي داود، أبو داود، الحدود، في الحد يُشفع فيه، ٦/ ٤٢٨، رقم الحديث: ٤٣٧٥، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٢٦٠.

(٤) انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير، المناوي، ١/ ١٩٧.

(٥) مكارم الأخلاق، الطبراني، ص: ٣٣٤، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٥٦٢.

(٦) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر المالكي، ٢/ ٨٢١.

(٧) الفتاوى الكبرى، ٦/ ٩٣.

وهو هارون ﷺ، ولطم عين ملك الموت؛ ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في محمد ﷺ ورفعه عليه، وربه ﷻ يحتمل له ذلك كله، ويحبه ويكرمه ويدلله، لأنه قام لله ﷻ تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدوٍّ له، وصدع بأمره، وعالج أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة؛ فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر، وانظر إلى يونس بن متى ﷺ حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى، غاضب ربه مرة، فأخذه وسجنه في بطن الحوت، ولم يحتمل له ما احتمل لموسى، وفرقٌ بين من إذا أتى بذنبٍ واحدٍ، ولم يكن له من الإحسانِ والمحاسنِ ما يشفعُ له، وبين من إذا أتى بذنبٍ، جاءتْ محاسنُه بكل شفيعٍ، كما قيل:

وإذا الحبيبُ أتى بذنبٍ واحدٍ ** جاءتْ محاسِنُه بألفِ شفيعٍ"[1].

المطلب الثاني: العدل والإحسان.

إن أكثر الأخلاق ورودًا في القرآن؛ هو خلق العدل[2]، والإنسان المسلم إذا أقام العدل صار أقدر على تحقيق الإحسان والبر في المعاملة، وقد جاء الأمر بالعدل مقترنًا بالإحسان في سورة الممتحنة في سياق معاملة المشركين المُسالمين، فقال ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨]، أي: لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين، كالنساء والضعفة منهم، ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾، أي: تحسنوا إليهم، ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾، أي: تعدلوا[3]،﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، أي: يحب كل مقسط، فيدخل الذين يقسطون للذين حالفوهم في الدين، إذا كانوا مع المخالفة محسنين في معاملتهم، فمن باب أولى، ويؤخذ من هذه الآية أيضًا: جواز معاملة أهل الذمة بالإحسان وجواز الاحتفاء بأعيانهم[4].

إن الله ﷻ لما أتم وعظ المؤمنين ومواساتهم، وتطبيب نفوسهم بالترجئة، وكان وصف الكفار بالإخراج لهم من ديارهم يحتمل أن يكون بالقوة؛ فيعم جنس الكافرين، ويحتمل أن يكون بالفعل؛

---

(١) مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١/ ٣٣٧.

(٢) استفدت هذه الفائدة من الشيخ المفكر: أبو زيد المقرئ الإدريسي، في برنامج: أفكار للمستقبل، في محاضرة بعنوان: منظومة الأخلاق في القرآن الكريم، على قناة رؤية للإعلام على اليوتيوب، رابط المحاضرة: https://youtu.be/R34hYjkvewU .

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/ ٩٠.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٥٣.

فيخص أهل مكة، أو من باشر الأذى الذي تسبب عنه الخروج منهم؛ بين ذلك بقوله مؤذنًا بالإشارة إلى الاقتصاد في الولاية والعداوة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ﴾، أي: بالفعل، ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾، أي: بحيث تكونون مظروفين له، ليس شيءٌ من أحوالهم خارجًا عنه، فأخرج ذلك القتال بسبب حق دنيوي لا تعلق له بالدين، وأخرج من لم يقاتل أصلاً كخزاعة والنساء، ومن ذلك أهل الذمة بل الإحسان إليهم من محاسن الأخلاق ومعالي الشيم لأنهم جيران.

ولما كان الذين لم يقاتلوا لذلك ربما كانوا قد ساعدوا على الإخراج؛ قال: ﴿وَلَمْ يُخْرِجُوكُم﴾، وقيد بقوله: ﴿مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾، ولما كان قد وسع لهم ﷻ بالتعميم في إزالة النهي خص بقوله مبدلًا من الدين: ﴿أَن﴾، أي: لا ينهاكم عن أن ﴿تَبَرُّوهُمْ﴾ بنوع من أنواع البر الظاهرة، فإن ذلك غير صريح في قصد الموادة، ﴿وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ أي تعدلوا العدل الذي هو في غاية الاتزان بأن تزيلوا القسط الذي هو الجور، ثم علل ذلك بقوله مؤكدًا دفعًا لظن من يرى أذى الكفار بكل طريق، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، أي: الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل[(١)].

وقد أمر الله ﷻ بإقامة العدل وحثَّ عليه، ومدح من قام به، بل وقرنه بالإحسان في أكثر من موطن من كتابه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[النحل:٩٠].

قال السعدي: "فالعدل الذي أمر الله به، يشمل العدل في حقِّه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة؛ بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقِّه وحقِّ عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كلُّ والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي، والعدل هو ما فرضه الله ﷻ عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخس لهم حقًّا، ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعدل واجب، والإحسان فضيلةٌ مستحبٌ"[(٢)].

وقال ﷻ يرغب في إقامة العدل، ويمدح به نبينا ﷺ: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/ ٥٠٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٤٤٧.

﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الشورى:١٥].

أي: وقل لهم يا محمد: أمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعًا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه[١]، وعن قتادة، في قوله ﷻ: ﴿وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ قال: أمر نبيُّ الله ﷺ أن يعدل، فعدل حتى مات ﷺ[٢].

قال الطبري: "والعدلُ ميزانُ الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدّق الله الصادق، ويكذّب الكاذب، وبالعدل يردّ المعتدي ويوبخه"[٣].

وبلغ من منزلة العدل أن وصف الله ﷻ به أفعاله، فقال ﷺ في شأن الذي اعترض على قسمته: **(فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله)**[٤].

وقال ابن القيم:

والعدْلُ من أوصافهِ في فعلهِ *** ومقالِهِ والحكم في الميزانِ[٥]

وامّا الإحسان؛ فإنه يشكّل مع العدل جوهر العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتتّسع دائرة الإحسان لتشمل النّفس والأسرة والأقارب ثمّ المجتمع والإنسانيّة عامّة.

ويعتبرُ الإحسان إلى المخالفين في العقيدة بالصّفح عنهم؛ أوسع دوائر الإحسان في العلاقات الإنسانية؛ وهذا ما يشير إليه قوله ﷻ: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[الممتحنة:٨].[٦]

ويمكننا أن نضيف إلى ذلك دائرةً أكثرَ شمولًا من العلاقة السّابقة، ألا وهي دائرة الحياة بكلّ ما فيها من نبات أو حيوان أو جماد، وإلى ذلك يشير قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا

---

(١) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢١/ ٥١٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ٢١/ ٥١٨.

(٣) المصدر السابق، ٢١/ ٥١٨.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، ٤/ ٩٥، رقم الحديث: ٣١٥٠.

(٥) الكافية الشافية، ص: ٢١٠.

(٦) انظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، نخبة من العلماء، ٢/ ٧٣ – بتصرف.

﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[الأعراف:٥٦]، وقوله ﷺ: **(إنَّ الله كَتَبَ الإحْسَانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتُم فأحْسِنوا القِتْلَةَ، وإذا ذَبحتُم فأحسِنُوا الذَّبْحَ، وليُحِدَّ أحدُكُمْ شَفْرَتَه، وليُرِح ذَبيحَتَه)**[1].

المطلب الثالث: القدوة بإبراهيم، وغيره من الأنبياء، عليهم السلام.

أمر الله ﷻ عباده المؤمنين أن يقتدوا بأنبيائه ورسله وأوليائه في السير إليه ﷻ، فقال ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾[الأنعام:٩٠]، أي: بالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم؛ اعمل يا محمد، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى[2].

وفي سورة الممتحنة؛ جاء الأمر بالتأسي والاقتداء بخليل الله إبراهيم عليه السلام، والذين معه ممن آمن من قومه، فقال ﷻ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الممتحنة:٤]، "فبعد الفراغ من بيان خطأ من يوالي عدو الله بما يجر إلى أصحابه من مضار في الدنيا وفي الآخرة، تحذيرًا لهم من ذلك؛ انتقلَ إلى تمثيلِ الحالةِ الصالحةِ بمثالٍ من فعل أهل الإيمان الصادق، والاستقامة القويمة، وناهيك بها أسوة"[3]، وقد كان من آمن بإبراهيم عليه السلام أقل منكم وأضعف، وكان قومهم أكثر من عدوكم وأقوى، وكان لهم فيهم أرحام وقرابات، ولهم فيهم رجاء بالقيام والمحاولات[4].

ثم أكد على هذا المعنى في آية أخرى، فقال ﷻ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾[الممتحنة:٦]، وفي هذا المطلب أربع نقاط، كما يأتي:

أولًا: معنى القدوة لغة واصطلاحًا:

أ. **لغة**: القاف والدال والحرف المعتل؛ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على اقتباسٍ بالشيء واهتداءٍ به، وفلانٌ قدوةٌ: يُقتدى به، وتَقَدّى فلانٌ على دابته، إذا سار سيرة على استقامة[5].

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الذبائح، الأمر بإحسان الذبح، ٦/٧٢، رقم الحديث: ٥٠٩٦.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١١/ ٥١٩.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٤٢.

(٤) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ١٩/ ٤٩٦.

(٥) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٦٧.

ب. **اصطلاحًا:** الاقتداء بالغير، ومتابعته، والتأسي به[1].

ثانيًا: أقسام القدوة:

للقدوة قسمان: حسنة، وسيئة، قال السعدي في تفسير قوله ﷻ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾[الأحزاب:٢١]: "فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة"[2].

أما القدوة الحسنة فتنقسم إلى قسمين:

أ. **قدوة حسنة مطلقة:** وهي متمثلة في الأنبياء والرسل الذين عصمهم الله ﷻ كما تقدَّم في أول المطلب، وأجدر من يُقتَدى به؛ النبي ﷺ، فإن المتأسِّي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم، وهذه الأسوة، إنما يسلكها ويُوفّقُ لها، من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالنبي ﷺ[3]، وبسائر الأنبياء والرسل.

ب. **وقدوة حسنة مقيدة:** وتتمثل في العلماء الربانيين، والهُداة الصالحين والمربين، وهذه القدوة حالُ عموم العلماء والمصلحين، إذ إنّهم ليسوا معصومين، واختلف الناسُ في تقييد هذه القدوة؛ وممن قيدها ابن مسعود ﷺ، حيث قال: "من كان منكم متأسيًا فليتأسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلفًا، وأقومَها هديًا، وأحسنَها حالًا، قومٌ اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتبعوهم في آثارِهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[4].

وأما القدوة السيئة، فتعني السير في المسالك المذمومة، واتباع أهل السوء، والاقتداء من غير حجة أو برهان[5]، ولا يخلو منها مجتمعٌ، ولكل فسادٍ رواده، وهي حجة أهل الضلال في القديم والحديث، قال ﷻ: ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾[الزخرف:٢٢].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٦٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص: ٦٦١.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٦٦١.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر المالكي، ٢/ ٩٤٧.

(٥) انظر: القدوة مبادئ ونماذج، صالح آل حميد، ص: ٦.

ثالثًا: أهمية القدوة الحسنة:

إن القدوة الحسنة تثير في نفس البصير العاقل قدرًا كبيرًا من الاستحسان والإعجاب والتقرير والمحبة، ومع هذه الأمور تتهيج دوافع الغيرة المحمودة والمنافسة الشريفة، فيرتقي في درجات الكمال، كما أنها تعطي الآخرين قناعةً بأن بلوغ هذه الفضائل من الأمور الممكنة، التي هي في متناول القدرات الإنسانية، وشاهد الحال أقوى من شاهد المقال.

إن مستويات فهم الكلام عند الناس تتفاوت، ولكن الجميع يتساوى أمام الرؤية بالعين المجردة لمثال حي، فإن ذلك أيسرُ في إيصال المعاني التي يريد الداعية إيصالها للمقتدي، وقد اتخذ النبي ﷺ، خاتمًا من ذهب، فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فنبذه ﷺ وقال: **(لا ألبسه أبدًا)**، فنبذ الناس خواتيمهم[1].

إن أهمية القدوة الحسنة تكمن في أنها تساعد على تكوين الحافز في المتربي دونما توجيه خارجي، وهذا يساعد المتربي على أن يكون من المستويات الجيدة في المسالك الفاضلة، من حسن السيرة والصبر والتحمل وغير ذلك[2].

رابعًا: مراتب التأسي بإبراهيم عليه السلام:

إن القضية المحورية في هذا المطلب؛ هي قضية التأسي بإبراهيم عليه السلام، والذين معه، وقد بين ﷻ هذا التأسي المطلوب، وذلك بقوله: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[الممتحنة:٤]، فجعل التأسي في ثلاثة أمور؛ **أحدها:** التبرؤ منهم، ومما يعبدون من دون الله، **والثاني:** الكفر بهم، **والثالث:** إبداءُ العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبدًا إلى الغاية المذكورة: حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذا غايةٌ في القطيعة بينهم وبين قومِهم، وزيادةٌ عليها إبداء العداوة والبغضاء أبدًا، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم.

وقد بين ﷻ أنّ موضعَ الأسوة؛ هو إبراهيم عليه السلام والذين معه بدليل العطف بينهما، وقوله ﷻ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾ دلَّ على أن قائل القول؛ إبراهيمُ والذين معه، وهذا محلُّ التأسي بهم فيما قالوه

(١) صحيح البخاري، البخاري، اللباس، خواتيم الذهب، ٧/ ١٥٦، رقم الحديث: ٥٨٦٧.

(٢) انظر: القدوة مبادئ ونماذج، صالح آل حميد، ص: ١١ – بتصرف.

لقومهم، وهو ما فصله ﷻ في موضعٍ آخر، في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[الزخرف:٢٦، ٢٧]، وهذا التبرؤ جعله باقيًا في عقبه، كما قال ﷻ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الزخرف:٢٨].[١]

وأمَّا قوله ﷻ: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾، فهذا القول من إبراهيم عليه السلام ليس موضع التأسي، بدليل النهي الوارد الذي تقدَّم ذكره سابقًا في النهي عن الاستغفار للمشركين[٢].

المطلب الرابع: أهميةُ مبدأ الحذر في قضية امتحان المؤمنات، وغيرها.

الحذرُ في الشريعة من صفات الأكياس من المؤمنين، وقد دلَّ عليه في سورة الممتحنة قول ربنا ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[الممتحنة:١٠].

قال المفسرون: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي: جَرِّبوهن واستخبروا حقيقةَ ما عندَهُنّ، وابتلوهُنَّ بالحلفِ والنظرِ في الأمَاراتِ ليغلب على ظنونكم صدقُ إيمانِهن، وموافقةُ قلوبهنَّ ألسنتهنَّ في الإيمان، لأن الامتحانَ طريقٌ إلى المعرفة، وجواهرُ الناس تتبيّن بالتجرِبة، ومن أقدمَ على شيءٍ من غير تجرِبةٍ تحسّى كأس الندم[٣].

وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال؛

أحدها: أن تُستحلَف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها، ولا لخوف، وغير ذلك من أعراض الدنيا سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

والثاني: أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله.

والثالث: أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا من ترك الإشراك والسرقة، وقتل أولادهن وترك الزنا والبهتان، والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها[٤]، وإن تبين أنها غير صادقة أو مؤمنة بعد امتحانها؛ تعيَّن ردُّهن وفاءً بالشرط –الذي صالح النبي ﷺ عليه المشركين بعد الحديبية أنّ من

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، والكلام لمتممه: عطية سالم، ٨/ ٨٥، بتصرف.

(٢) انظر: مبحث النهي عن الاستغفار للمشركين، ص:٣٢.

(٣) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ٥/ ٢٩٧، الكشاف، الزمخشري، ٤/ ٥١٧، لطائف الإشارات، القشيري، ٣/ ٥٧٣، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البضاوي، ٥/ ٢٠٦.

(٤) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ٢/ ٣٦٧.

جاءه مسلمًا؛ رده إليهم-، من غير حصول مفسدة، وإن امتحنوهن، فوجدوهن صادقات، أو علموا ذلك منهن من غير امتحان، فلا يرجعوهن إلى الكفار[(١)].

وقد سُئِلَ ابن عباس ﷺ: كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: **(كان يمتحنهنّ بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرضٍ إلى أرضٍ، وبالله ما خرجت التماسَ دُنيَا، وبالله ما خرجت إلا حبًّا لله ورسوله)**، وفي رواية عنه قال: **(كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله)**[(٢)].

وعن عائشة قالت: ما كان رسول الله ﷺ يمتحن المؤمنات إلا بالآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا...﴾[الممتحنة:١٢]، ..الآية[(٣)].

ويرى الباحث: أنَّ هذا الامتحانَ للمؤمنات غايةٌ في الحذر؛ فإن الأغراض التي يهاجر الناس من أجلها، ويسافرون، ويتنقلون كثيرةٌ، منها ما يكون إيمانًا واحتسابًا وهجرة لله ورسوله، ومنها ما يكون من أجل التجارة، ومنها ما يكون من أجل الاغتيال والقتل كالذي كان من عمير بن وهب ﷺ[(٤)]، ومنها ما يكون لأغراض تجسسية يتم تجنيدها في الحال، أو شراؤها بالمال، كالمرأة التي نقلت كتاب حاطبٍ إلى المشركين[(٥)]، ولذلك شُرِعَ الامتحانُ حذرًا وخشيةً من الاختراق الأمني للصفِّ المسلم.

وقد أمر الله ﷻ بالحذر في كتابه، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١]، وقال ﷻ: ﴿وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[النساء:١٠٢]، وهنا يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعُدَدِ، وتكثير العَدَدِ بالنَّفيرِ في سبيله[(٦)]، وكذلك مراعاة الحس الأمني، ورفع الكفاءة الاستخبارية والتعبئة الأمنية في الصف المسلم.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٨٥٧.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣٢٥.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣٢٥.

(٤) انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر المالكي، ٣/ ١٢٢٢.

(٥) انظر: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بكري، ٢/ ٧٨، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٣٢.

(٦) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢/ ٣٥٧.

المبحث الثاني

توجيهات تربوية اجتماعية

عَرَضَتْ سورة الممتحنة لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية على أساس العقيدة الصحيحة، وجاءت بتوجيهات من شأنها أن ترفع مستوى الترابط الاجتماعي في الدولة المسلمة، وقد بيَّنْتُ ذلك في أربعة مطالب، كما يلي:

المطلب الأول: العلاقات مع غير المسلمين.

بينّت سورة الممتحنة أصلًا مهمًا من أصول السياسة في الدولة المسلمة؛ وهو العلاقة مع غير المسلمين، فقال ربنا ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[الممتحنة:٨، ٩].

وقد جعلَ الله ﷻ الكفار في هذه الآية على نوعين: محاربين ومسالمين، فلم ينهَ الله عن صلة المسالمين والإحسان إليهم، وأن هذا لا يقتضي مخالفة أمر الله بالبراءة من المشركين، وقد ثبت عن أسماء بنت أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قَدِمَتْ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ)** فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[الممتحنة:٨] الْآيَةَ [1].

وهذه الآية في كل مشرك غير محارب، والسلف إنما يختلفون في سبب نزولها والمقصود فيها؛ وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك؛ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، ولم يخصصْ به بعضًا دون بعض[2].

والمشركون في باب الإحسان إليهم، والهدية لهم، وقبول شفاعتهم، والنفقة عليهم، على نوعين:

النوع الأول: مشركون محاربون؛ فالأصل: عدم جواز الإحسان إليهم، والإغلاظ عليهم، والشدة

---

(١) المسند، أحمد بن حنبل، مسند النساء، حديث أسماء، ٤٤/ ٤٨٤، رقم الحديث: ٢٦٩١٥، قال الألباني: صحيح، وله أصلٌ في الصحيحين.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٢٣/ ٣٢٣.

معهم، وعدم اللين في ذلك؛ لعموم قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ ﴾[التوبة:٧٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ ﴾[التوبة:١٢٣].

وأمّا من كان من الكفار شره لا يندفع لقوته وسوئه، وعجز المسلمون عن تأليفه إلا بالمال، فهذا يجوز في المحارب على الاستثناء لا على الأصل؛ كما عزم النبي ﷺ على إعطاء غطفان بعض ثمر المدينة كفايةً لشرها، وكما كان يفعله مع المنافقين في المدينة مع ظهور بغيهم وشرهم[1].

النوع الثاني: مشركون مسالمون كأهل الذمة والعهد؛ فالأصل جواز الإحسان إليهم، وقد يستحبَّ ويؤجر عليه فاعله إن قصد خيرًا من تأليف قلبه وتقريبه إلى الإسلام، وقد كان جماعةٌ من الصحابة يُهدون بعض الكافرين من جيرانٍ ونحوهم، وصحَّ عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، أن امرأةً يهودية سألتها فأعطتها[2].

ولا يجوز التعرض لهم، ولا أذيتهم ولا قتلهم، لقول النبي ﷺ: **(من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا)**[3].

كما يجوز قبول هديتهم، فقد قبل النبي ﷺ الهدية من ملك أَيْلَةَ[4]، وأُكَيْدِرُ دُومَةِ الجندل[5]، وعقد البخاري على ذلك بابًا في صحيحه؛ سماه: باب قبول الهدية من المشركين[6].

---

(١) انظر: التفسير والبيان، عبدالعزيز الطريفي، ٢١٣٤/٤.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، أبواب الكسوف، التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، ٢/ ٣٦، رقم الحديث: ١٠٤٩.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، الجزية، إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، ٤/ ٩٩، رقم الحديث: ٣١٦٦.

(٤) انظر: صحيح مسلم، مسلم، الفضائل، في معجزات النبي ﷺ، ٤/ ١٧٨٥، رقم الحديث: ١٣٩٢.

(٥) انظر: صحيح البخاري، البخاري، الهبة وفضلها والتحريض عليها، قبول الهدية من المشركين، ١٦٣/٣، رقم الحديث: ٢٦١٦.

(٦) انظر: المصدر السابق، نفس الصفحة.

المطلب الثاني: النـهي عن نكاح المشركة.

لما نهى الله ﷻ عن اتخاذ المشركين أولياء من دونه، أتبع ذلك بما يُشكِّل تنقيةً للصف المسلم من أدران هذه العلاقة، حتى يستوي صرح العقيدة في قلوبهم ومجتمعهم على سوقه؛ فنهى عن نكاح المشركة، لأن الزواج من أظهر صور المخالطة والمقاربة[1]، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة:١٠]،

فطلَّقَ المسلمون من كان لهم من أزواج بمكة، وطلق عمر ﷺ امرأتين له بقيتا بمكة مشركتين، وهما: قريبة بنت أبي أمية، وأم كلثوم بنت عمرو الخزاعية[2]، لأنه كما أن المسلمة لا تحل للكافر، فكذلك الكافرة لا تحل للمسلم أن يمسكها ما دامت على كفرها، غيرَ أهل الكتاب، وإذا نهى عن الإمساك بعصمتها فالنهي عن ابتداء تزويجها أولى[3]، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾[البقرة:٢٢١]، ونُسخَ من هذا النهي نساء أهل الكتاب[4]: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ۖ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[المائدة:٥].

وقد قال ﷻ عن المشركين: ﴿أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[البقرة: ٢٢١].

"وهذا بيانٌ لعلة التحريم وعلة التفاضل بين المؤمنة والمشركة، والمؤمن والمشرك، وهو الظلم في حق الله وسوء العاقبة عنده ﷻ، وذلك أن المشركة والمشرك يدعون إلى الكفر، ولو بلسان الحال، ودوام المخالطة يؤثر في النفوس"[5].

---

(١) انظر: التفسير والبيان، عبدالعزيز الطريفي، ٣٧٦/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٥٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٨٥٧.

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ٣٦٢/٤.

(٥) التفسير والبيان، عبدالعزيز الطريفي، ٣٨٧/١.

المطلب الثالث: فقه تغيير المنكر.

من التوجيهات المهمة التي تضمنتها سورة الممتحنة؛ الفقه الحسن في تغيير المنكر، وقد جاء هذا في خطاب إبراهيم عليه السلام والذين معه لقومهم، فذكر الله ﷻ أنهم أنكروا باطل قومهم أولًا بالقول: ﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الممتحنة:٤]، ثم لمّا لم يستجيبوا لهم؛ صرحوا بعداوتهم غاية التصريح، فقالوا: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، ولمّا أبَوْا؛ ظاهروهم العداء بالقلوب والأبدان، فقالوا: ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾، والبغض يكون بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان، وليس لتلك العداوة والبغضاء وقتٌ ولا حدٌّ، بل ذلك ﴿أَبَدًا﴾ ما دمتم مستمرين على كفركم، ﴿حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾، فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء[1].

فانظر كيف تدرجوا من التبرؤ منهم بالقول، إلى العداوة الظاهرة، وقبل ذلك كله، أنكروا بقلوبهم، وهو ما جاء موافقًا للأمر النبوي: **(من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)**[2].

قال النووي: "**فبقلبه:** معناه؛ فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر، ولكنه هو الذي في وسعه"[3].

ويشترط في الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر؛ أن يكون قادرًا على الأمر والنهي وتغيير المنكر، فإن كان عاجزًا فلا وجوب عليه إلا بقلبه؛ أي عليه أن يكره المعاصي وينكرها ويقاطع فاعليها[4].

إنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق واللين، والحكمة والموعظة الحسنة، من شأنه أن يُرسيَ دعائم العقيدة الصحيحة في القلوب، ويبث الأخلاق الحميدة والفاضلة في المجتمع المسلم.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ٨٥٦.

(٢) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان، النهي عن المنكر من الإيمان، ١/ ٥٠، رقم الحديث: ٨٦.

(٣) شرح صحيح مسلم، ٢/ ٢٥.

(٤) انظر: التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي، عبدالقادر عودة، ١/ ٤٩٧.

المطلب الرابع: الله عليمٌ بالسرائر.

إن من المُسلَّمات التي ينبغي على العبد المؤمن أن يؤمن بها ويعتقدها؛ أن الله ﷻ يعلم السرَّ وأخفى، وأنه ﷻ يتولى السرائر، وقد نبه ﷻ على هذا الأمر في أكثر من موطنٍ في كتابه، فقال: ﴿وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡ﴾[الممتحنة:١].

قال القشيري[(١)]: "أنا أعلم بِما أَخْفَيْتُمْ من دقائق التصنّع وخفيّات الرياء، وَما أَعْلَنْتُمْ من التزيّن للناس، بِما أَخْفَيْتُمْ من الاستسرار بالزّلة، وَما أَعْلَنْتُمْ، من الطاعة والبرّ، بِما أَخْفَيْتُمْ من الخيانة وَما أَعْلَنْتُمْ من الأمانة، بِما أَخْفَيْتُمْ من الغلّ والغشّ للناس، وَما أَعْلَنْتُمْ من الفضيحة للناس، بِما أَخْفَيْتُمْ من ارتكاب المحظورات، وَما أَعْلَنْتُمْ من الأمر بالمعروف، بِما أَخْفَيْتُمْ من ترك الحشمة مني وقلة المبالاة باطّلاعي، وما أعلنتم من تعليم الناس ووعظهم"[(٢)].

وأمر الله ﷻ أن توكَلَ سرائرُ الناس إليه، فهو أعلم بمن ضل ومن أهتدى، وهو أعلم بالمفسد والمصلح، وهو أعلم بالمؤمن والكافر، فقال يحث المؤمنين على أن يُمِرُّوا المُمْتَحَناتِ المهاجِرات من المؤمنات على ظواهرهنَّ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾[الممتحنة:١٠]، يعني: بسرائرهن في إيمانهن، وهذا يدل على أنه لم يُعطَ أحدٌ من بَني آدم أن يحكمَ على غيرِ ظاهرٍ[(٣)].

وقال النبي ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله ، عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله**)[(٤)].

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: (إن أناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرًا، أمناه، وقربناه، وليس إلينا من سريرته شيء؛ الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا لم نأمنه، ولم نصدقه، وإن قال: إن سريرته حسنة)[(٥)].

---

(١) هو: الإِمَامُ، الزَّاهِدُ، القُدْوَةُ، الأُسْتَاذُ، أَبُو القَاسِمِ عَبْدُ الكَرِيْمِ بنُ هَوَازِن بنِ عَبْدِ المَلِكِ بنِ طَلْحَةَ القُشَيْرِيُّ، الخُرَاسَانِيُّ، النَّيْسَابُوْرِيُّ، الشَّافِعِيُّ، الصُّوْفِيُّ، المُفَسِّرُ، صَاحِبُ (الرِّسَالَةِ)، ولد سنة ٣٧٥ هـ، وتوفي سنة ٤٦٥ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٨/ ٢٢٧.

(٢) لطائف الإشارات، ٣/ ٥٧٠.

(٣) انظر: تفسير الإمام الشافعي، ٣/ ١٣٤١.

(٤) صحيح مسلم، مسلم، الإيمان، أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله ، ١/ ٣٨، رقم الحديث: ٣٣.

(٥) صحيح البخاري، البخاري، الشهادات، الشهداء العدول، ٣/ ١٦٩، رقم الحديث: ٢٦٤١.

قوله: **(بالوحي)** يَعْنِي: كَانَ الْوَحْي يكْشف عَن سَائِر النَّاس فِي بعض الْأَوْقَات[١].

وفي هذا الحديث من الفقه؛ أن العمل على الظواهر، والله ﷻ يتولى السرائر، فمن أظهر خيرًا فأمنه المسلم فلا جناح على الآمن، كما أن من أظهر شرًا فحذره المسلم فلا جناح على الحاذر، وكذلك يكون الآمن لو أظهر كل منهما ضد ذلك، فكانت الحال محمولةً على ما أظهر دون ما أسر[٢].

---

(١) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين العيني، ١٣/ ٢٠٠.

(٢) انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن هبيرة، ١/ ١٩٣.

المبحث الثالث

توجيهاتٌ تربويةٌ فكرية

إن الحرب الفكرية والثقافية من أخطر الحروب التي يشنُّها أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا، للنيل من دين الله ﷻ، وقد جاءت سورة الممتحنة ببعض التوجيهات الفكرية التي من شأنها أن تحصن الفكرَ المسلم في زمن الطوفان الفكري، وفي عصر فساد التصورات، وبطلان الأحكام، وقد بيَّنْتُ ذلك في مطلبين اثنين:

المطلب الأول: حدةُّ ألسنة الكافرين، وأثرها على دعوة الإسلام والمسلمين.

حذر الله ﷻ المؤمنين من عاقبة موالاة المشركين، وبيّن أن المشركين إن قدروا عليهم وظهروا؛ فإنهم سيناصبونهم العداء، ويبسطوا إليهم أيديهم بالتنكيل والضرب والأذى، وألسنتهم بالسوء والسب والشتم والتحريض على دين الله، قال ﷻ: ﴿ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾[الممتحنة:٢].

إن بسط المشركين ألسنتهم بالسوء للمؤمنين هو ما يُسمَّى اليوم بالإعلام المضاد والحرب الإعلامية؛ لتشويه صورة الإسلام والمسلمين، والصدِّ عن سبيل الله ﷻ، ولم يزل المشركون منذ فجر الإسلام يحاولون أن يرسموا صورة قاتمةً وسيئةً عن دعوة الله ﷻ، قال ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[الصف:٨].

قال النسفي: "هذا تهكم بهم في إرادتهم إبطال الإسلام؛ بقولهم في القرآن هذا سحر، مثل حالهم كحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه"[(١)].

وقال ربنا ﷻ: ﴿ ...وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا...﴾[آل عمران:١٨٦]، أي: من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم ورسولكم[(٢)].

إن النبي ﷺ أرسل محمد بن مسلمة رضي الله عنه في مهمة سرية خاصةً ليخمد واحدة من أكثر المنصات الإعلامية خطرًا على المجتمع المسلم، فقال ﷺ: **(من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى**

---

(١) انظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٣/ ٤٧٦.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص: ١٦٠.

الله ورسوله)[1]، وقد كان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ، ويحرض عليه كفار قريش، وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة، وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، والمشركون يعبدون الأوثان، وقد كان اليهود يؤذون النبي ﷺ وأصحابه، فأمر الله ﷻ نبيه بالصبر والعفو، ففيهم أنزل الله: { ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾[آل عمران:١٨٦]، فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ، أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطًا يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة، وذكر قصة قتله[2].

قال الباحث: يُستفادُ من هذا الحديث؛ أنه ينبغي على المسلمين أن يواجهوا الإعلام المضاد، بالإعلام القوي المؤثر الفعّال، والحجة الدامغة، بشكلٍ يدحض حجج المنافقين والمشركين وافتراءاتهم على دين الإسلام، وإن توفرت القوة؛ فينبغي عليهم إخماد الأبواق الإعلامية المأجورة التي تصد عن سبيل الله من آمن يبغونها عوجًا.

إن المنافقين زمن النبي ﷺ قد بنوا مسجد الضرار كفرًا وتفريقًا بين المؤمنين، وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله، فأرادوا له أن يكون منصة إعلامية تحرِّض على المسلمين، فأمر النبي ﷺ بإحراقه وهدمه.

وإن كثيرًا من القنوات الإعلامية اليوم تقوم مقام مسجد الضرار ذاك؛ ولو كانت زمن النبي ﷺ ما اجتمع المنافقون إلا فيها، وما أنفقت اموال بني قريظة إلا عليها.

إن الإعلام السيئ له أثر بالغ في تكوين الصورة الذهنية الخاطئة عند المجتمعات، وقد فطن فرعون لهذا الأمر؛ فراح ينادي في الناس عبر قنواته الإعلامية التي تتمثل في الحاشرين الذين ينقلون ويغطون من الوقائع والحقائق ما كان موافقًا لمذهبهم وقضيتهم؛ فقد قالوا للناس: ﴿ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[الشعراء:٣٩، ٤٠].

وراح المشركون يرمون النبي ﷺ بأبشع الاتهامات والأوصاف؛ متناسين أنهم كانوا ينادونه بالصادق الأمين، وأنهم رضوا به حكمًا أمينًا، في أعقد مشكلة اجتماعية عرفها التاريخ؛ وهي مشكلة وضع الحجر الأسود، فقد عقدوا مؤتمرًا إعلاميًّا ليحرضوا فيه القبائل الوافدة على النبي ﷺ.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الجهاد والسير، قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود، ٣/ ١٤٢٥، رقم الحديث: ١١٩.

(٢) سنن أبي داود، أبو داود، الخراج والإمارة والفيء، كيف كان إخراج اليهود من المدينة، ٣/ ١٥٤، رقم الحديث: ٣٠٠٠، قال الألباني: صحيح الإسناد، انظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود، ص: ٢، بترقيم الشاملة.

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنٍّ فيهم، وقد حضر الموسم فقال لهم: يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولكم بعضه بعضًا، قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل وأقم لنا رأيا نقول به، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: لا والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لغدق وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه، أن تقولوا ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه، وذكروا لهم أمره(١).

إن الشغل الشاغل للإعلام المنحرف؛ تحريفُ الأخبارِ، والطعنُ في الأخيارِ، والحَمَلاتُ الآثمةُ من المنافقينَ والكفارِ، كما قالَ ﷻ: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾[التوبة:٤٨].

بل قد يتعدى الأمرُ إلى أكبرِ من ذلك، وهو أن يتظاهرَ بعضهم بالإسلامِ وبعضُهم الآخر بالاستقامةِ والصلاحِ، ثُم يرتّدُ الكفارُ، وينتكسُ المنافقونَ، ليُشككوا الناسَ في الدينِ، وأنه لولا خللٌ فيه لما رجعَ هؤلاءِ المُثَقفونَ والمفكرونَ، وصدقَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[آل عمران:٧٢].

قال ابن كثير: "هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشتوَرُوا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما ردهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب

(١) انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١/ ٢٧١.

في دين المسلمين، ولهذا قالوا: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾"[1].

المطلب الثاني: بيعة النساء.

إن من أهم القضايا الفكرية التي تضمنتها سورة الممتحنة؛ قضية البيعة، إذ إنها من الأمور المهمة المقررة في الكتاب والسنة، وبها تنتظم مصاح العباد، وهي من أسباب السعادة.

وقد جاءت البيعة في سورة الممتحنة في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[الممتحنة:١٢].

وقد كان النبي ﷺ يبايُع النساء كما يُبايعُ الرجال، فعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ، قال: وحوله عصابة من أصحابه: **(تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فأمره إلى الله، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه)**، قال: فبايعته على ذلك[2].

وكان ﷺ يُشرك النساءَ مع الرجال ببعضِ ألفاظ البيعة، وكان يخصهن ببعض الألفاظ التي تتعلق بهن، مع اشتراك الجنسين في عامة المحرمات؛ ولكنه قد يغلب على جنسٍ الوقوع في محرم ويضعف عند الآخر، فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يبايع النساء على عدم السرقة والزنا، وعدم قتل الولاد من إملاق أو من حياء، ومنعهنَّ من كل بهتانٍ ظاهرٍ وخفي[3].

وكانت عادته ﷺ أنه يصافحُ من بايعه، إلا أنه لم يصافح النساء، ولم يجعل رجلًا يصافحهنَّ عنه[4]، وقد كان يقول ﷺ: **(إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِمِائَةِ امْرَأَةٍ كَقَوْلِي لِامْرَأَةٍ**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٥٩.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، مناقب الأنصار، وفود الأنصار إلى النبي ﷺ، ٥/ ٥٥، رقم الحديث: ٣٨٩٢.

(٣) انظر: التفسير والبيان، عبدالعزيز الطريفي، ٤/٢١٤٠.

(٤) ذكر بعض المفسرين أنه صافحنَّ بحائلٍ، وبعضهم ذكر أنه أوكل المصافحة لعمر ﷺ، وهذا منكرٌ لا أصل له، انظر: النكت والعيون، الماوردي، ٥/ ٥٢٤، التفسير والبيان، عبدالعزيز الطريفي، ٤/٢١٤٠.

وَاحِدَةٍ، أَوْ مِثْلُ قَوْلِي لِامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ)[1].

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله ﷻ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ**﴾، إلى قوله: ﴿**غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات، قال لها رسول الله ﷺ: **(قد بايَعْتُكِ)** كلامًا، ولا والله ما مست يده يدَ امرأةٍ قطُّ في المبايعة، ما يبايعهن إلا بقوله: **(قد بايَعْتُكِ على ذلك)**[2].

وفي مبايعة النبي ﷺ للنساء المؤمنات بعد امتحانهنَّ؛ بيانٌ لأهمية البيعة في حفظ نظام المجتمع على أسس عقديَّة وتربوية وأخلاقية واضحة، وكذلك بيانٌ لأهمية بنود البيعة التي بايع النبي ﷺ النساء عليها وما لها من دورٍ بارزٍ في ترسيخ العقيدة واستقرارها في قلوب النساء المُمْتَحَنات.

وفي هذا المطلب نقطتان، كما يأتي:

أولًا: معنى البيعة لغة واصطلاحًا:

أ. **لغة:** بِعتُ الشيءَ بمعنى اشتريته، وبِعتُه فابْتاعَ أي: اشتَرَى، وقد تَبايَعوا على كذا، أي: أصفقوا عليه، والبيعة: عبارةٌ عن المعاقدة والمعاهدة؛ كأنَّ كلَّ واحدٍ منهما باع ما عنده من صاحبه، وأعطاه خالصةَ نفسه وطاعتَه ودخيلةَ أمره[3].

ب. **اصطلاحًا:** إعطاء العهد من المبايِع على السمع والطاعة للمبايَع في غير معصيةٍ، في المنشط والمكره، والعسر واليسر، وعدم منازعته الأمر[4].

---

(١) سنن النسائي، النسائي، البيعة، بيعة النساء، (٧/ ١٤٩، رقم الحديث: ٤١٨١، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٤٩٤/١.

(٢) صحيح البخاري، البخاري، تفسير القرآن، قوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾، ١٥٠/٦، رقم الحديث: ٤٨٩١.

(٣) انظر: العين، الخليل بن أحمد، ٢٦٥/٢، لسان العرب، ابن منظور، ٨/ ٢٦.

(٤) انظر: موسوعة الفقه الإسلامي، محمد التويجري، ٥/ ٣٠٤.

ثانيًا: أقسام البيعة:

تنقسم البيعة إلى قسمين اثنين:

أحدهما: البيعة العامة (الكبرى)، وهي بيعة الخليفة المسلم على السمع والطاعة، وهي التي ورد التحذير من تركها في الآثار، قال ﷺ: **(من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية)**[١].

"أي: لا إمام له، وهذا يدل على أنه لا يسوغ أن يظل المسلمون أكثر من ثلاثة أيام مدة الشورى إلا وفي أعناقهم بيعة لإمام يرجعون إليه"[٢].

وورد الأمر بالسمع والطاعة للأمير في عموم الآثار كذلك، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: **(بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم)**[٣].

الثاني: البيعة الخاصة، وهي التي تكون في أمور مخصوصةٍ، دون بيعة الخليفة، كبيعة النبي ﷺ أصحابه على الإسلام، وكبيعته للأنصار على النصرة والمنعة، والجهاد.

أ. أمَّا البيعة على الإسلام؛ فدليلها ما رواه جريرُ بن عبدالله رضي الله عنه، قال: **(بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم)**[٤]، وفي رواية له: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: **(فيما استطعت والنصح لكل مسلم)**[٥].

وقد انقطعت بيعةُ الإسلام بانتشاره، وأمّا بيعةُ النَّبيِّ ﷺ، فإنّها مخصوصةٌ به[٦].

ب. وأمَّا بيعته ﷺ للأنصار على النصرة والمنعة، فقد كان ذلك في بيعة العقبة الثانية في منى، وَكَانَ كَعْبُ بن مالك رضي الله عنه مِنْ أَعْلَمِ الْأَنْصَارِ، مِمَّنْ شَهِدَ الْعَقَبَةَ وَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: خَرَجْنَا

---

(١) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة، الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ٣/ ١٤٧٨، رقم الحديث: ١٨٥١.

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح، ابن هبيرة، ٤/ ٢٦٢.

(٣) صحيح مسلم، مسلم، الإمارة، طاعة الأمراء في غير معصية، ٣/ ١٤٧٠، رقم الحديث: ١٧٠٩.

(٤) صحيح البخاري، البخاري، البيوع، هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، وهل يعينه أو ينصحه، ٣/ ٧٢، رقم الحديث: ٢١٥٧.

(٥) المصدر السابق، الأحكام، كيف يبايع الإمام الناس، ٩/ ٧٨، رقم الحديث: ٧٢٠٤.

(٦) انظر: المسالك في شرح موطأ مالك، ابن العربي المالكي، ٧/ ٥٦٦.

فِي حُجَّاجِ قَوْمِنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا بِالشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا، وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رضي الله عنه قَالَ: قُلْنَا: تَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ قَالَ: فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلِي، وَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، وَقَالَ: **(أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ)** قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ وَرِثْنَاهَا كَابِرًا، عَنْ كَابِرٍ.[١]

ت. وأمَّا بيعته ﷺ على الجهاد، فهو ما كان من رجز الأنصار يوم الخندق:

نحن الذين بايعوا محمدًا *** على الجهاد ما حيينا أبدًا

فأجابهم النبي ﷺ فقال:

(اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة * فأكرم الأنصار، والمهاجرة)**[٢].

---

(١) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ٢/ ٩٢٣.

(٢) صحيح البخاري، الجهاد والسير، البيعة في الحرب أن لا يفروا، وقال بعضهم: على الموت، ٤/ ٥٠، رقم الحديث: ٢٩٦١.

المبحث الرابع

الأساليب التي جاءت بها التوجيهات التربوية المنثورة في هذا الفصل

إن أساليب القرآن الكريم الماتِعة لها أثرٌ مهمٌّ وبالغٌ في استجابة الناس وهدايتهم، وانقيادهم بالطاعة لأوامر القرآن ونواهيه، ذلك أن القرآن قد فاق بأسلوبه كل بلاغةٍ وفصاحةٍ وبيانٍ ورُقِيٍّ وعلوٍّ، وقد جاءت التوجيهات السلوكية، والاجتماعية والفكرية بأساليبَ عدةٍ، وقد بيَّنْتُها في مطلبين اثنين، كما يأتي:

المطلب الأول: أسلوب ضرب الأمثال.

تميز القرآن الكريم بأساليبه الفريدة في بث توجيهاته للناس، وتبليغ رسالة الله ﷻ للخلق كلهم، على اختلاف مستوياتهم؛ ومن هذه الأساليب: أسلوب ضرب المثل، الذي يستفاد منه في أمورٍ كثيرةٍ منها: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقرير، وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس؛ بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس، كما تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر آخر[(١)]، وفي هذا المطلب ثلاث نقاط، كما يأتي:

أولًا: معنى الأمثال لغةً واصطلاحًا:

أ. **لغة:** "الميم والثاء واللام أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء، وهذا مثل هذا، أي: نظيره، والمثل والمثال في معنى واحد"[(٢)].

ب. **اصطلاحًا:** "هو إبراز المعنى في صورةٍ رائعةٍ موجزةٍ لها وقعُها في النفس، سواءٌ أكانت تشبيهًا أو قولًا مرسلًا"[(٣)].

ثانيًا: أقسام الأمثال القرآنية:

تنقسم الأمثال في القرآن الكريم إلى أقسامٍ ثلاثة:

أحدها: الأمثال المصرحة؛ "وهي ما صرح فيها بلفظ المثل، أو ما يدل على التشبيه"[(٤)]، وهي

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ١/ ٤٨٧.

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/ ٢٩٦.

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: ٢٩٢.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

كثيرةٌ في القرآن، ومن أمثلتها؛ المثل الذي ورد في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾[الممتحنة:١٣].

﴿قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: لكفرِهِم بهَا، أو لعلمهم بأنَّه لا خلاقَ لهُمْ فيهَا لعنادِهِم الرسولَ المنعوتَ في التوراة المجيد بالآياتِ، ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ﴾، أيْ: كَما يئسَ منها الذينَ ماتُوا منهُم؛ لأنَّهم وقفُوا على حقيقةِ الحالِ وشاهدُوا حرمانَهُم من نعيمِهَا المقيمِ وابتلاءَهُم بعذابِهَا الأليمِ، والمرادُ: وصفهُم بكمالِ اليأسِ منهَا، وقيلَ المَعْنَى: كما يئسُوا من موتاهُم أنْ يُبعثوا ويرجعُوا إلى الدُّنيا أحياءً[1].

"وتشبيه إعراضهم هذا بيأس الكفار من أصحاب القبور؛ وجهه شدة الإعراض وعدم التفكر في الأمر، شبَّه إعراضهم عن العمل لنفع الآخرة، بيأس الكفار من حياة الموتى والبعث، وفيه تشنيع المشبَّه"[2].

الثاني: الأمثال المرسلة؛ "وهي جمل قد أرسلت إرسالًا من غير تصريح بلفظ التشبيه، وكثر التمثيل بها لما فيها من العظة والعبرة والإقناع"[3].

وقد اكتسبت صفة المثلية بعد نزول القرآن الكريم وشيوعها في المسلمين، ولم تكن أمثالًا في وقت نزوله، وهي في جملتها مبادئ خلقية ودينية مركزة، مثل قوله ﷻ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران:٩٢]، وقوله ﷻ: ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾[النجم:٥٨].

الثالث: الأمثال الكامنة؛ وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكنها تدل على معان رائعة في إيجاز: يكون لها وقعها إذا نقلت إلى ما يشبهها[4].

والأمثلة على هذا النوع كثيرةٌ؛ منها:

ما في معنى قولهم: خير الأمور الوسط، قوله ﷻ: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَ﴾[البقرة:٦٨].

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ٨/ ٢٤١.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨/ ١٦٩.

(٣) دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، ص: ٣٠١.

(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، ص: ٢٩٥.

كذلك ما في معنى قولهم: ليس الخبر كالمعاينة، قوله ﷻ في إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة:٢٦٠].

ثالثًا: أهمية ضرب الأمثال:

أخبر الله ﷻ أنه ضرب الأمثال لعباده في غير موضعٍ من كتابه، فأمر باستماع امثاله، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾[الحج:٧٣]، ودعا عباده إلى تعقلها والتفكر فيها، والاعتبار بها، ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣][(١)].

وقد صرَّف الله ﷻ الأمثال في القرآن للناس؛ زيادةً في البيان والإرشاد، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[الكهف:٥٤]، "أي: رددنا وكثرنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس. ليهتدوا إلى الحق، ويتعظوا، فعارضوا بالجدل والخصومة"[(٢)].

قال الآلوسي مبيِّنًا أهمية ضرب الأمثال: "لضرب المثل شأن لا يخفى، ونور لا يطفى، يرفع الأستار عن وجوه الحقائق، ويميط اللثام عن محيا الدقائق، ويبرز المتخيل في معرض اليقين، ويجعل الغائب كأنه شاهد، وربما تكون المعاني التي يراد تفهيمها معقولة صرفة، فالوهم ينازع العقل في إدراكها حتى يحجبها عن اللحوق بما في العقل، فبضرب الأمثال تبرز في معرض المحسوس، فيساعد الوهم العقل في إدراكها، وهناك تنجلي غياهب الأوهام، ويرتفع شغب الخصام"[(٣)].

ولأهمية المثل؛ عدَّه الماورديُّ من أعظم علوم القرآن، فقال: "مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِ الْقُرْآنِ؛ عِلْمُ أَمْثَالِهِ، وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَنْهُ"[(٤)].

---

(١) انظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، ١/ ١٤٩، بتصرف.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٣/ ٢٩٩.

(٣) روح المعاني، ١/ ١٦٥.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٤/ ٤٤.

المطلب الثاني: أسلوب الرجاء والبشارة بالخير

أشارت سورة الممتحنة إلى أسلوب الرجاء والبشارة بالخير، والذي كان له أثرٌ بالغٌ في التربية القرآنية، واستجابة المؤمنين لأمر الله ﷻ، وأمر رسوله ﷺ.

الرجاء: هو التوقع والأمل[1]، وقد جاء في سورة الممتحنة مصدَّرًا بفعله عسى، قال ﷻ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[الممتحنة:٧].

قال ابن عاشور: "وعسى فعل مقاربة، وهو مستعملٌ هنا في رجاء المسلمين ذلك من الله، أو مستعملة في الوعد مجردة عن الرجاء"[2].

وقال الزمخشري: "وعَسَى وعد من الله على عادات الملوك، حيث يقولون في بعض الحوائج: عسى أو لعل؛ فلا تبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك"[3].

"ولما نزلت آيات سورة الممتحنة في النهي عن موالاة المشركين؛ تشدّد المؤمنون في عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم، فلما رأى الله ﷻ منهم الجدّ والصبر على الوجه الشديد، وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة؛ رحمهم فوعدهم تيسير ما تمنوه، فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم، فأسلم قومهم، وتمّ بينهم من التحابِّ والتصافي ما تمّ"[4].

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٤/ ٣١٠.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٨/ ١٥١.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤/ ٥١٥.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين،

وبعد ..

فقد جاءت هذه الدراسة تحقيقًا لأهدافٍ وضعها الباحث في مقدمة بحثه، **وقد توصل إلى مجموعةٍ من النتائج والتوصيات؛ وذلك فيما يأتي:**

أولًا: أهم النتائج.

وقد جاءت في ستةَ عشر بندًا كما يلي:

١. سورة الممتحنة سورة مدنية بالإجماع، مُحكمة لا ناسخ فيها ولا منسوخ، ولها أسباب نزول متعددة مرتبطة بآياتها، ولها أسماء عدة، ومناسبات متنوعة، ومحورها العام الذي جاءت لترسيخه هو: قيمة العقيدة في المجتمع المسلم.

٢. حرمة موالاة المؤمنين للكافرين بالنصرة والتأييد والمودة، إلا ما استثناه النصُّ، وأنَّ عاقبة موالاتهم وخيمةٌ في الدنيا والآخرة، وحرمة الاستغفار للمشركين.

٣. علة وجوب قطع المؤمنين موالاة الكافرين هي كفرهم، وإخراجهم للمؤمنين من ديارهم.

٤. حرمة موالاة المؤمنين لليهود كافةً، وللمحتلين منهم لفلسطين على وجه الخصوص، وحرمة جميع أنواع التعاون مع الصهاينة، ونبذ التطبيع معهم.

٥. رابطة العقيدة والدين أقوى من كلِّ رابطةٍ على الإطلاق.

٦. بيان فضل التقوى، والتوكل، والإنابة، وظهور أهمية الضراعة إلى الله ﷻ باتقاء الفتنة ومغفرة الذنوب.

٧. أهمية التماس العذر، وضرورة إنزال الناس منازلهم.

٨. لا بأس من الإحسان إلى المشركين المسالمين، أو الذميين والمعاهَدين.

٩. التربية بالقدوة الحسنة من أهم وسائل التربية الحسنة، واكتساب الفضائل الحميدة، وضرورة التأسي بمن ضرب الله ﷻ بهم المثل كإبراهيم ﵇، ونبيِّنا محمد ﷺ.

١٠. أهمية مبدأ الحذر والحيطة؛ خشية الاختراق الأمني في المجتمع المسلم.

١١. حرمة نكاح المشركة، أو تزويجها لمشرك.

١٢. فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحين الأوقات المناسبة، واستخدام الوسائل

المتاحة.

١٣. إمرارُ الناس على ظواهرهم، والله يتولى السرائر، ومراقبة الله ﷻ وفقًا لذلك.

١٤. الحذر من خطر الحرب الإعلامية والإعلام المضاد، ومواجهتها بالحجة الدامغة، والإعلام المؤثر الفعّال.

١٥. في البيعة على السمع والطاعة، والفضائل والأخلاق الحميدة؛ نظامٌ للمجتمع المسلم، وسعادةٌ لأفراده، وحفظٌ له من التشرذم والضياع.

١٦. أهمية اتباع الأساليب الحكيمة في الدعوة إلى الله، كالترغيب والترهيب، والإقناع، والبشارة بالخير، والنصح والإرشاد في الأمر والنهي، وغيرها من الأساليب.

ثانيًا: أهم التوصيات:

استنادًا إلى ما توصل إليه الباحث من نتائج، فإنه يوصي بالآتي:

١. يوصي طلبة العلم والباحثين بالتنقيب والبحث في التوجيهات القرآنية لسور القرآن الكريم، مع تطبيق نظرية التفسير الموضوعي.

٢. يوصي المربين والدعاة والمصلحين بغرس العقيدة الصحيحة في نفوس النشء، وتربيتهم عليها، والاستفادة من الأساليب الواردة في سورة الممتحنة، وفي سائر سور القرآن.

٣. يوصي كلَّ من يقرأ هذه الرسالة بدعاء الرب ﷻ، ورجائه بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا التي وردت في السورة، ودراستها دراسةً وافيةً.

٤. يوصي بتوعية الرأي العام؛ المحلي والدولي بخطورة التعاون مع الصهاينة، والتطبيع معهم.

٥. يوصي بتطوير الوسائل الإعلامية للدعوة الإسلامية، والرقيِّ بها، لتواجه آلاتِ الشر والتضليل والفساد.

هذا ما تيسّر إيراده، وتهيَّأ إعداده، وأعانني الله على قوله، فما كان من صواب فبتوفيق من الله ﷻ وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والله المستعان، وهو الموفق وعليه التُّكلان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: محمد باسل عيون السود، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣. أساليب بلاغية، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، الكويت، وكالة المطبوعات، ط١، ١٩٨٠ م.
٤. أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرارها البلاغية، عبدالله الأنصاري، السعودية، جامعة أم القرى، ط١، ١٩٩٠م.
٥. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، عبد الرحمن النحلاوي، بيروت، دار الفكر، ط٢٥، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
٦. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت.
٨. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ط٢، د.ت.
٩. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٧٤ م.
١٠. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١١. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، د.م، دار الوطن، ط١، ١٤١٧هـ.
١٢. الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الأردن، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
١٣. الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، د.ت.

١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢ م.

١٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

١٦. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١ هـ.

١٧. أسطر من النقل والعقل والفكر، عبدالعزيز الطريفي، السعودية، د.ن، ط١، ١٤٣٥هـ.

١٨. أساليب الإقناع في القرآن الكريم –دراسة استقرائية تحليلية–، حليمة لموشية، رسالة ماجستير.

١٩. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨ هـ.

٢٠. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

٢١. أوراقٌ ذابلةٌ من حضارتنا، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، عبدالحليم عويس، مصر، مؤسسة اقرأ، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٣. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م.

٢٤. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، د.ت.

٢٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط١، د.ت.

٢٦. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق، غانم قدوري الحمد، الكوين، مركز المخطوطات والتراث، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٧. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: بشار عوّاد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٨. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مجموعة من المحققين، د.م، دار الهداية، ط١، د.ت.

٢٩. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري، بيروت، دار صادر، ط١، د.ت.

٣٠. التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، عبد القادر عودة، بيروت، دار الكاتب العربي، ط١، د.ت.

٣١. التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، تونس ، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٤ هـ.

٣٢. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، د.ت.

٣٣. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤١٦ هـ.

٣٤. تفسير الإمام الشافعي، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق: أحمد بن مصطفى الفرَّان، المملكة العربية السعودية، دار التدمرية، ط١، ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.

٣٥. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده،ط١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.
٣٦. تفسير أسماء الله الحسنى، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، السعودية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٧. تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، د.م، دار الثقافة العربية، ط١، د.ت.
٣٨. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، د.م، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٣٩. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة من العلماء، إشراف: مصطفى مسلم، الشارقة، جامعة الشارقة، ٢٠١٠م.
٤٠. التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٨٣ هـ.
٤١. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩٧م.
٤٢. التفسير والبيان لأحكام القرآن، عبدالعزيز الطريفي، الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط٢، ١٤٣٩هـ.
٤٣. التنسيق الأمني في ميزان الشريعة الإسلامية، د. يونس الأسطل، غزة – فلسطين، رابطة علماء فلسطين، ط١، ١٤٣٥هـ – ٢٠١٥م.
٤٤. تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٦م.
٤٥. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٤٦. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٤٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٤٨. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الرياض، مكتبة الإمام الشافعي، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

٤٩. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٥٠. جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، أبي الأشبال الزهيري، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

٥١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – إبراهيم باجس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٥٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

٥٣. جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. مروان العطيَّة – د. محسن خرابة، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م.

٥٤. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، تحقيق: يوسف الصميلي، بيروت، المكتبة العصرية، ط١، د.ت.

٥٥. الحياة الآخرة، ما بين البعث ودخول الجنة أو النار، غالب عواجي، السعودية – جدة، المكتبة العصرية الذهبية، ط٢، ٢٠٠٠م.

٥٦. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، د.م، دار المنار، ط١، ١٤١٩هـ– ١٩٩٩م.

٥٧. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط١، د.ت.

٥٨. الدعاء في القرآن الكريم، أساليبه، مقاصده، وأسراره، بهيّة اللحياني، السعودية، جامعة أم القرى، ط١، ٢٠٠١م.

٥٩. الدولة العثمانية؛ عوامل النهوض، وأسباب السقوط، علي الصلابي، مصر، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، ٢٠٠١م.

٦٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥ هـ.

٦١. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٦٢. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت.

٦٣. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٦٤. سنن الترمذي = الجامع الكبير، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٨ م.

٦٥. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.م، دار إحياء الكتب العربية، ط١، د.ت.

٦٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، القاهرة، دار الحديث، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٦٧. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.

٦٨. شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، د.م، دار الثقافة العربية، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٦٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٧٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، الأردن، دار الفيحاء، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٧١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٧٢. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، د.م، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت.

٧٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤م - ١٩٩٣هـ.

٧٥. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، د.ت.

٧٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة، دار السلفية،ط٢، ١٣٩٤هـ.

٧٧. العقوبات؛ زاجرات جابرات، لا كاسرات، زكريا شحادة، غزة - فلسطين، مكتبة سمير منصور، ط١، ٢٠١٧م، ١٤٣٨هـ.

٧٨. علوم البلاغة، أحمد بن مصطفى المراغي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٧م.

٧٩. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، د.ت.

٨٠. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، د.م، دار ومكتبة الهلال، ط١، د.ت.

٨١. الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٨٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، دار المعرفة، ط١، ١٣٧٩هـ.

٨٣. فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١ - ١٤١٤ هـ.

٨٤. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: وصي الله محمد عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٣ هـ- ١٩٨٣م.

٨٥. الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، تحقيق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان، دار المعرفة، ط٢، د.ت.

٨٦. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ط١، د.ت.

٨٧. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، القاهرة، دار الشروق، ط٧، ١٤١٢ هـ.

٨٨. القدوة مبادئ ونماذج، صالح بن عبد الله بن حميد، موقع وزارة الأوقاف السعودية، ط١، د.ت.

٨٩. الكبائر، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، بيروت، دار الندوة الجديدة، ط١، د.ت.

٩٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ هـ..

٩١. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، د.ت.

٩٢. كيف تقنع الآخرين، عبدالله العوضي، الكويت، دن، ط١، د.ت.

٩٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤ هـ.

٩٤. لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، د.ت.

٩٥. المتفق والمفترق، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد صادق الحامدي، دمشق، دار القادري للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.

٩٦. متن القصيدة النونية، بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط٢، ١٤١٧هـ.

٩٧. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، السعودية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٩٨. المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، د.م، د.ن، ط١، ١٤١٨ هـ.

٩٩. من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، عمر عبيد حسنة، موقع إسلام ويب على الشبكة العنكبوتية.

١٠٠. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، د.م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٠١. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨ هـ.

١٠٢. المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، بيروت، دار الفكر، ط١، د.ت.

١٠٣. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢ هـ.

١٠٤. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٠٥. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٠٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١٠٧. المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مجموعة من المحققين، د.م، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٠٨. مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٠٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠ هـ.
١١٠. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١١١. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١١٢. معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١١٣. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الرياض، دار الوطن للنشر، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١١٤. المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، بيروت، دَار الغَرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
١١٥. المُعْلم بفوائد مسلم، أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، تونس، الدار التونسية للنشر، ط٢، ١٩٨٨ م.
١١٦. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠ هـ.
١١٧. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، السعودية - مكة، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٣٢ هـ.

١١٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ط١، ١٤١٢ هـ.
١١٩. مقدمة في التربية الإسلامية، محمود أبو دف، غزة – فلسطين، مكتبة سمير منصور، ط٤، ٢٠١٤م.
١٢٠. الملخص الفقهي، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الرياض، السعودية، دار العاصمة، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٢١. مكارم الأخلاق للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م.
١٢٢. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، د.م، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، د.ت.
١٢٣. مواهب الفتاح بشرح تلخيص المفتاح، ابن يعقوب المغربي، ضمن سلسلة شروح التلخيص، لبنان، دار الكتب العلمية، ط١، د.ت.
١٢٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.
١٢٥. المنهاج في شعب الإيمان، الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله الحَلِيمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، بيروت، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م.
١٢٦. مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي، بيروت، دار الفكر، ط٣، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
١٢٧. موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيروت، بيت الأفكار الدولية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
١٢٨. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.
١٢٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

١٣٠. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، السعودية – جدة، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤، د.ت.

١٣١. النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، د.ت.

١٣٢. النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد النجدي، الكويت، مكتبة الإمام الذهبي، ط١، د.ت.

١٣٣. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ط١، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

١٣٤. هنيئًا لمن عرف ربه، خالد أبو شادي، مصر، طيبة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٥م.

١٣٥. الولاء والبراء بين الغلو والجفاء في ضوء الكتاب والسنة، حاتم بن عارف بن ناصر الشريف العوني، السعودية، وزارة الأوقاف السعودية، ط١، د.ت.

١٣٦. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط١، ١٩٩٤م.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾
١٢٢	٩٢	﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾
٣٠	١٠٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾
٣٧	١١٢	﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ...﴾
٣٠	١١٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ... ﴾
٥٩	١٣٢	﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾
٧٦	١٧٣	﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾
٣٨	١٧٦	﴿ وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ...﴾
٤٠	١٨٥	﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾
١١٤	١٨٦	﴿ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗا﴾
		النساء
٥٢	٣٢	﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾
٢٨	٦٦	﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ ﴾
١٠٧	٧١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴾
٣٠	٨٩	﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾
١٠٧	١٠٢	﴿ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾
٦٠	١١٣	﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾
٨١	١١٦	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن

طرف الآية	رقمها	الصفحة
يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾		
﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾	١٣٩	٤٩
المائدة		
﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾	٣	٣٠
﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾	٥	١١٠
﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾	٢٣	٧٦
﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾	٣٨	٨٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ ...﴾	٤١	٣٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ ...﴾	٥١	٢٥
﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ ﴾	٥٢	٣٥
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٥٤	٤٩
﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾	٦٤	٣٧
﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ...﴾	٨١	٢٥
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾	٨٢	٣٠
﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ ...﴾	٥٥، ٥٦	٢٤
﴿ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ...﴾	٨٠، ٨١	٣٦
الأنعام		

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾	٣٦	٤١
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾	٥٩	٦١
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾	٩٠	١٠٣
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾	٩١	٥٦
﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ ...﴾	٩٤	٧١
﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ ...﴾	١٣٣	٥٣
﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾	١٥١	٨٦
﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖ﴾	١٦٤	٤٦
الأعراف		
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ...﴾	٢٦	٧٣
﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	٥٦	١٠٣
﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ﴾	١٠٣	٤٠
﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُ﴾	١٥٥	٧٩
﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾	١٥٥	٩١
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	٤٥
﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾	١٩١	٨٢
الأنفال		
﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾	٣٠	٢٨
التوبة		
﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ ...﴾	٥	٢٧
﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ ...﴾	١٢	٢٧

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾	١٣	٢٨
﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا ...﴾	٢٩	٢٧
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ ...﴾	٤٠	٢٨
﴿ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴾	٤٨	١١٦
﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ...﴾	٧١	٢٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾	٧٣	١٠٩
﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ ...﴾	١١٢	٥٤
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ ...﴾	١١٣	٣٣
﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ ...﴾	١١٤	٣٢
﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾	١١٧	٥٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾	١٢٣	٢٧
﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾	١٢٨	٥٩
﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾	١٢٩	٤٨
يونس		
﴿ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾	١٠	٩٠
﴿ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	٢٢	٩٠
هود		
﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٥١
﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	٥	٥٩

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾	٧٥	٧٧
﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾	٨٨	٧٧
﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾	٩١	٤٨
يوسف		
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	٦٧	٥٩
﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾	٨٤	٨٥
الرعد		
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	٦	٦٤
﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾	٢٧	٧٨
إبراهيم		
﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	٢٠	٤٨
﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾	٤١	٣٣
الحجر		
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾	٤٩، ٥٠	٦٤
النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٣٦	٤١
﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ *يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ ...﴾	٥٨، ٥٩	٨٥
﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾	٧٨	٦١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ ...﴾	٩٠	١٠١
﴿تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾	١١١	٧١
﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾	١٢٥	٦٧
الإسراء		
(إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١	٤٧
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا	٣١	٨٦

طرف الآية	رقمها	الصفحة
كَبِيرًا﴾		
﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾	٥٣	٩٨
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٦٠
الكهف		
﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾	٢٦	٥٠
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾	٥٤	١٢٣
مريم		
﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾	٤٥	٢٣
﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾	٤٧	٣٣
﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾	٦٣	٧٤
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾	٦٤	٦١
﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾	٧١، ٧٢	٧٤
﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾	٩٥	٧٢
طه		
﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ ...﴾	١٢٣-١٢٤	٢٩
﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾	٥٧	٢٩
﴿إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾	٦٣	٢٩
﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾	٨٢	٥٧
﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾	٩٨	٦٠
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾	١١٠	٦٠
الحج		

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾	٦، ٧	٤١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ﴾	٧٣	١٢٣
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ * ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن ...﴾	٣٩، ٤٠	٣٧
المؤمنون		
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾	١٠١	٧١
النور		
﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾	١٢	٩٦
﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴾	٣٠	٨٥
﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	٦٣	٢٩
الفرقان		
﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن ... ﴾	٦٨	٨٤
الشعراء		
﴿ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴾	٣٩، ٤٠	١١٥
﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾	٨٦	٣٣
﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾	٢١٤	٧١
﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾	٢١٨، ٢١٩	٤٧
النمل		
﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	١١	٥٧
﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾	٣٤	٤٨
﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾	٦٥	٦١

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍ﴾	٨٨	٥١
العنكبوت		
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ...﴾	٤١	٣١
﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾	٤٣	١٢٣
الروم		
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ ...﴾	٢٧	٤٢
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾	٣٣	٧٧
﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾	٥٤	٥٥
لقمان		
﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ ...﴾	٣٤	٦١
السجدة		
﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾	٧	٥١
الأحزاب		
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾	٢١	١٠٤
﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ...﴾	٣٣	٨٥
﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾	٤٣	٥٨
فصلت		
﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ...﴾	٣٩	٤٢
﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ * لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾	٤١، ٤٢	ج

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		ص
٧٧	٢٤	﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾
٧٧	٣٤	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾
		الزمر
٤٥	١١	﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾
٧٨	١٧	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾
٥١	٥٣	﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ ...﴾
٧٨	٥٤	﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾
		غافر
٤٢	٥٧	﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٨٩	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾
		الشورى
٧٧	١٠	﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾
٧٠	١٣	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ...﴾
١٠٢	١٥	﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ ...﴾
٤٧	٢٧	﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾
		الزخرف
١٠٤	٢٢	﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾
١٠٦	٢٦، ٢٧	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴾

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ ...﴾	٢، ٣	٢٩
﴿ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	٣	٤٧
﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٤	٤٠
﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٤، ٥	٤٦
﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٥	٤٨
﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	٥، ٦	٩٠
﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾	٦	٥١
﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةًۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	٧	١٣
﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾	٨	١٤
﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن...وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٨، ٩	١٠٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ﴾	١٠	١٢
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾	١١	٩٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ...﴾	١٢	١٥
الصف		
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	٨	١١٤
التغابن		
﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٧	٤١
الطلاق		
﴿قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾	١٢	٦١

الصفحة	رقمها	طرف الآية
		الجن
٦١	"٢٨	﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾
		التكوير
٨٥	٨، ٩	﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ* بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾
		الإنفطار
٤١	٤	﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾
		البروج
٧٩	١٠	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ﴾
		التين
٥٠	٨	﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
٢٠.	تَجَافَوْا عَنْ عُقُوبَةِ ذِي الْمُرُوءَةِ، وَهُوَ ذُو الصَّلَاحِ	٩٩
٢١.	تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم،	١١٧
٢٢.	تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا	١١٧
٢٣.	حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار	٧٦
٢٤.	الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن	٥٤
٢٥.	عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن	٤٣
٢٦.	عن أسماء بنت أبي بكرٍ، قالت: أتتني أمي راغبة، في عهد النبي ﷺ، فسألت النبي ﷺ: آصلها؟ قال: «نعم»،	١٤
٢٧.	فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ	٥٢
٢٨.	فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله	١٠٢
٢٩.	قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك،	٤٢
٣٠.	قبل النبي ﷺ الهدية من ملك أَيْلَةَ وأُكَيْدِرُ دُومَةِ الجندل	١٠٩
٣١.	قد بايعتك	١٥
٣٢.	كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، فَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ	٩٥
٣٣.	لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك	٤٤
٣٤.	لا ألبسه أبدًا	١٠٥
٣٥.	لعن الله السارق، يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده	٨٣
٣٦.	اللهم اكْفِنِي بحلالك عن حرامك، وأغنِنِي بفضلك عمَّن سِواك	٥٢
٣٧.	اللهم إني أسألك الهُدَى والتُّقَى، والعَفاف والغِنَى	٥٢
٣٨.	اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت	٤٩
٣٩.	اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض	٥٤
٤٠.	مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ	٥٤
٤١.	ما بين النفختين أربعون	٤٢
٤٢.	ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفوٍ إلا عزًّا	٤٩
٤٣.	ما يَنقِمُ ابنُ جميلٍ إلا أنه كانَ فقيراً فأغناهُ الله ورسولُه، وأَمَّا خالدٌ فإنكمْ تَظلِمون	٩٧

ثالثاً: فهرس الأعلام